الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

Abul Azayem

www.abulazayem.com

Version 3.2 / May, 2024

الطهور المدار على قلوب الأبرار

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩-١٩٣٧ ميلادية

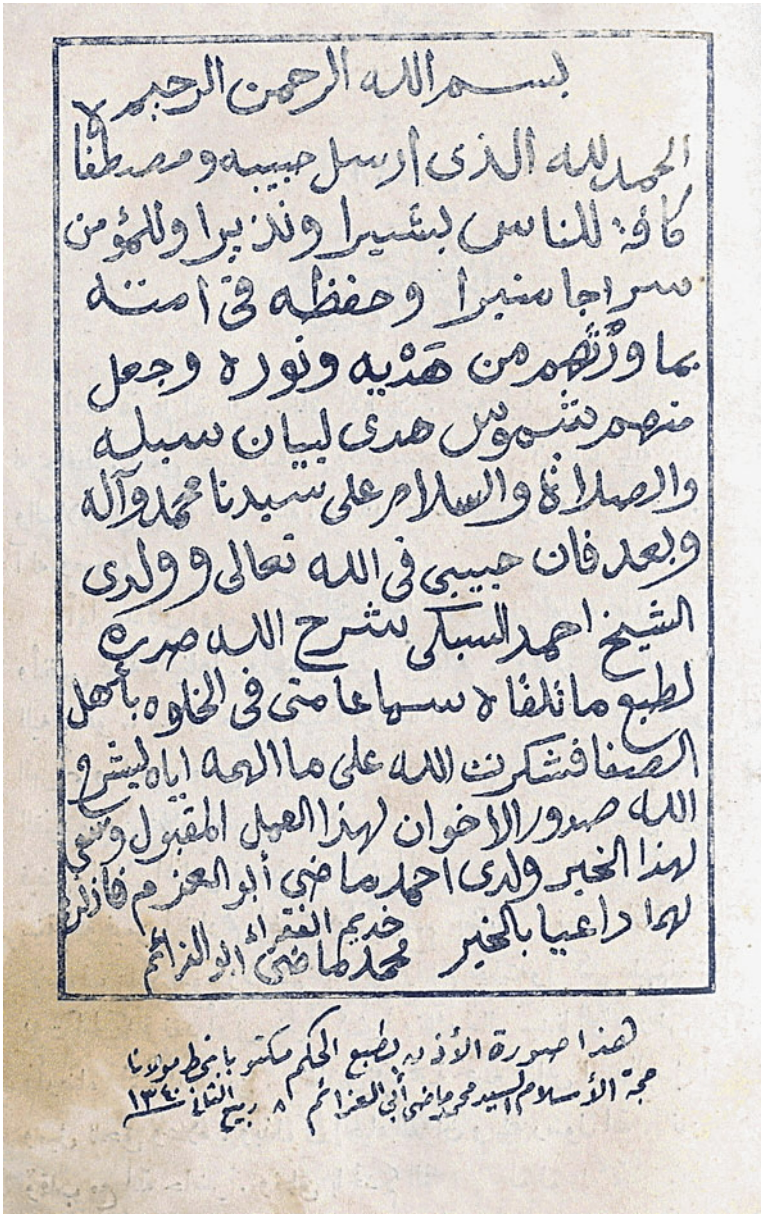

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ارسل حبيبه ومصطفاه
كافة للناس بشيرا ونذيرا وللمؤمن
سراجا منيرا وحفظه فى امته
بما ورثهم من هديه ونوره وجعل
منهم شموس هدى لبيان سبله
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
وبعد فان حبيبى فى الله تعالى وولدى
الشيخ احمد السبكى شرح الله صدره
لطبع ما تلقاه سماعا منى فى الخلوة بأهل
الصفا فشكرت الله على ما الهمه اياه ليشرح
الله صدور الاخوان لهذا العمل المقبول وسمى
لهذا الخير ولدى احمد ماضى أبو العزائم فأذنت
لهما داعيا بالخير

خديم الفقراء الى الله
محمد ماضى ابو العزائم

هذا صورة الأذن بطبع الحكم مكتوبا بخط مولانا
حجة الإسلام السيد محمد ماضى أبى العزائم ٨ ربيع الثانى ١٣٤٠

صورة لإذن طبع الكتاب بخط الإمام رضى الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

ما سر إظهار الله للمجددين فى كل زمان

معلوم أن أول الإرادة آخر العمل، وأول مُراد الله تعالى هو حبيبه ومصطفاه ﷺ، وسبق فى علمه أنه حبيبه ومصطفاه وأنه الإنسان الكلى المُمِد لجميع العوالم، وخلق جميع الخلائق له ﷺ، كما ورد فى الحديث بسند الإمام محمد بن سهل رضى الله عنه فى تفسيره للقرآن، يقول الله تعالى: (إنى خلقت محمداً لذاتى وخلقت آدم لمحمد، وخلقت كل شىء لبنى آدم..) إلى آخر الحديث، أبرز الله الكون متطوراً أطواراً ليعده لإشراق شمس حبيبه ومصطفاه، فكان ﷺ فاتحاً خاتماً كما قال علىٌ عليه السلام: (اللهم صل على محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والناصر الحق بالحق وآله).

أشرقت شمسه ﷺ بالنور العام الدائم الذى لا يغيب، لأن شمسه ﷺ لا تأفُل، كما قال عبد القادر الجيلانى رحمه الله:

أفلت شموس الأولين وشمسنا أبداً على فَلك العُلا لا تغرب

فجعله الله تعالى فاتحة الإيجاد وخاتمة للرسل فلا نبى بعده، فاقتضت حكمته ورحمته وإحسانه، أن يحفظه لأمته فى أمته، فلا يزال ﷺ فى أمته بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ الحجرات ٧، وبدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ النساء ٨٣، وقال علىٌ بن أبى طالب عليه السلام: (اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته).

فلا يخلو زمان من الأزمنة، بل ولا يمضى قرن ويتجدد آخر، إلا ويجدد الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها، وهم ورثة رسول الله ﷺ، ولولا ذلك لخفيت معالم دين الله، واندثرت آثار أئمة الهدى، وإنما الورثة أشبه بالمرائى، فإن المرآة الأولى التى واجهت الحقيقة المحمدية ورسمت فيها صورته ﷺ، لا فرق بينها وبين آخر مرآة رسمت فيها تلك الصورة، ولكن التفاوت بين الظرف والظرف لا المظروف، وبين الإناء والإناء لا ما فيهما. والصورة لم تتغير

فهى هى، وتكون المرآة بحسب زمانها، فخير مرآة تكون فى خير زمان وكلها خير، ومن أنكر هذا فقد أنكر قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الأحزاب ٤٠.

وقد حصل لأصحاب رسول الله ﷺ يوم انتقاله إلى الرفيق الأعلى دهشة حيرت العقول، لاعتقادهم أن خاتم الرسُل لا يموت، حتى مَنَّ الله على الأمة بنور العلم اليقين من الصديق رضى الله عنه فتلا آية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الأحزاب ٤٠.

هذا هو سر تجدد الورثة فى كل قرن أو قرون؛ وما ورد من الآيات والأحاديث فى هذا الشأن فمعلوم، وما يعترى بعض المنكرين لهذا السر، فهو من طريق قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ق ١٥، والمجدد المرآة لا النور، والإناء لا ما فيه، فإن الإنسان من حيث هو إنسان، مؤهل أن ينال من الله الخير والفضل العظيم الذى ناله الأطهار من أوليائه، والأخيار من الصديقين. وما من زمان إلا وتتجدد فيه أحداث لم تكن على عهد السلف، وتظهر فيه شؤون تقتضيها سعة العمران.

ولما كانت تلك الأحداث والشؤون لابُد وأن ينظر إليها بعين الشريعة، ليثبت حكمها من حيث الحل والحرام والندب والكراهة والوجوب والمنع، كان لابُد لكل زمان من أفراد يصطفيهم الله لنفسه فيفقههم فى دينه، ويلهمهم الصواب فى القول والعمل، ويقيمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم، فتنطوى النبوة فى صدورهم إلا أنه لا يوحى إليهم.

ولذلك نظائر فى الأمور المحسوسة، فإنا لو عرضنا أمراض هذا العصر على ابن سينا وابن بختيشوع وغيرهما من كبار الأطباء لجهلوا هذا المرض ولما علموا له دواء، فكما أن الله سبحانه يُحدث فى كل زمان أطباء للأشباح لُطفاً بالخلق ورحمة بهم، فهو سبحانه أرحم الراحمين بعباده فيُجدد لهم رجالاً يستنبطون الحكم على كل حدث حدث أو شأن تجدد، وهم ورثة رسول الله ﷺ سر قوله ﷺ: (العلماءُ ورثة الأنبياء)، ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا نوراً وهدى ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ البقرة ١٠٥.

ما هى مآخذ المجددين للسُنة

عقيدة كل مسلم أن رسول الله ﷺ خاتم الأنبياء، وهذا الأصل يقتضى أن يكون كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ جامعين لبيان الأحكام المتعلقة بالشؤون التى تحدث فى كل زمان ومكان، بحسب ما يعترى المجتمع الإسلامى من الأحوال التى تحدث من غير أن يسبق لها نظير.

ومعلوم أن تلك الحوادث ـ بحسب أهميتها ـ تشغل قلوب المجتمع، فقد تقوى تأثيراتها حتى يألفها المجتمع ويتلقاها الأبناء من الآباء معتقدينها ديناً، ومثال ذلك ما حدث فى الدولة العباسية من البدع كالقول بخلق القرآن، وتغيير المنهج الذى كان عليه من قبلهم فى تلقى عقائد التوحيد، حتى حصروها فى مواضيع، وجعلوا طريق تحصيلها العقل، وجعلوا لذلك أُسُساً حكموا أن من لم يحصلها غير مؤمن، وهى من شر البدع. وما حصل بعد ذلك من البدع المُضلة من تفرقة المجتمع وتعدد الخليفة، ثم عظم الأمر حتى صار الحكم بالهوى وهجر القرآن والسُنة، وتساهل المسلمون حتى غيروا أحكام الشريعة الغراء بقوانين ونظمات، فأصبحت السُنة بدعة منكرة والبدع المُضلة سنناً مقبولة، فانحلت عُقدة التعصب للدين وتمزقت دعائمه، وأصبح المسلمون كما يعلم من شهد الماضى والحاضر، شهد الماضى بدراسة أخباره وشهد الحاضر بالمعاينة. كل تلك الحوادث والشؤون لا يخلو منها مجتمع فى كل زمان.

ومقتضى أن رسول الله خاتم الرسُل يثبت أنه ﷺ لم يمت بصفته رسول الله، بل ينبغى أن يعتقد حق الاعتقاد أن النبوة والرسالة باقيتان ما بقى الحدثان (الليل والنهار)، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر ٩.

كذلك تفضل الله تعالى على عباده الذين بشرنا بأنهم خير أمة أخرجت للناس، أن يجدد لهم أمر دينهم كلما خفيت محاجه أو سترت حججه، ولا يكون ذلك إلا بواحد من المسلمين يتفضل الله عليه بفقه دينه وعلم الحكمة فى أحكامه وسر أحكامه، ويمنحه لسان البيان، ويلقى عليه محبة منه سبحانه. وفضل الله تعالى لا يخفى على ذى بصيرة وإن كانت شمس

رسول الله ﷺ خفيت على الخفافيش من الناس، فالقائم هذا لا يضره إنكار أهل الجهالة عليه، ولا يضره منهم عدم الإقبال، فإن أعداء الحق فى كل زمان ومكان أكثر من أحبابه.

ومآخذ المجددين للسُنة فى كل زمان من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ وهدى أئمة الهدى من السلف الصالح، وإنما اللبس حصل لأهل الجهالة لأن أحكام الزمان الذى هم فيه مغايرة لأحكام ما قبله، والأئمة المجددون ليس لهم رأى ولا هوى ولاحظ لهم إلا فيما يرضى الله ورسوله ﷺ بقدر النور الموهوب لهم من الله تعالى.

وهنا أنبهك أيها الأخ الراغب فى نيل الحسنيين، أن تكون محافظاً على الموازين فيما سبق الحكم فيه مما هو فى الكتاب والسُنة، فإذا تكلم المجددون فيما حدث بعد ذلك مما لم يسبق له نظير من الحوادث، فعليك أن تقبل معتقداً أن عبارة المجددين فوق شهودك لأنهم يقتبسون من مشكاة رسول الله ﷺ، أو مما وقر فى قلوبهم من نور الإلهام، أو من الأخذ بالعزائم بعد طمأنينة القلب وصفاء جوهر النفس وكمال الإخلاص لله، وليس بإمام من خالف صريح الكتاب والسُنة، أو خالف عمل أهل الإجماع من أصحاب رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما ما يتعلق بالعقيدة والإخلاص، فلكل مؤمن قسط من هذا النور بقدر عناية الله تعالى به، والله أسأل أن يجدد بنا السُنة ويُعلى بنا الكلمة، ويجعلنا أئمة للمتقين إنه مجيب الدعاء.

ماهو أساس طريق آل العزائم

أساسهم الأول المحبة، ولا ينال الإنسان المحبة إلا بعد العلم بثلاثة أصول:

١ العلم بصفات المحبوب.
٢ العلم بأخلاقه.
٣ العلم بما يحبه.

فأما العلم بصفات المحبوب فلابد أن ينال من عارف ربانى أمين على سر الربوبية، عالم بجواهر النفوس وأمراضها وقواها القابلة.

وأما العلم بأخلاق المحبوب، فينال بتحصيل سير الرسل عليهم الصلاة والسلام مع أممهم، ومعرفة حكمة إيجاد العالم علواً وسفلاً، وجعله إمداداً للإنسان بعد إيجاده، وسر صوغ الإنسان بيديه، وجعل نشأته الأولى من طين، وحكمة نفخ الروح فيه، ومعنى سجود الملائكة له، وإباء إبليس ورجوعه إلى الجنة ومعصيته فيها ورده منها. حتى إذا تحقق من كل تلك المعانى، أمكنه أن يصير مع الله تعالى بالمحبة، فإن من جهل أخلاق محبوبه انقلبت المحبة بالبغضاء. وهذا العلم لا يحصل عليه المسلم إلا بصحبة الربانيين أهل الخشية من الله تعالى والأدب معه، قال ﷺ: (العلم بالتعلم).

وأما العلم بما يحب المحبوب فتحصيله يكون بتلقى معرفة النفس، وبمعرفتها يعرف المسلم ربه، ويعرف مُراده جل جلاله فى إيجاد الإنسان، وهو أن يكون عبداً لمولاه سبحانه، متجملاً له سبحانه بالكمال الذى يحبه هو من عبيده، ولديها يكون ابن وقته، فإذا اقتضى الوقت محبوباً له ومحبوباً لله، قهر نفسه على أن تفعل ما يحبه الله مهما ناله من الضرر والبلاء فى سبيل ذلك. وليس من تقرب إلى الله بأكمل القربات بمحب لله، فإن الطاعة يعملها البار والعاصى، وإنما دليل محبة الله البُعد عما نهى الله عنه، وهذا أمر دقيق جداً، فكم من عابد يوالى عدو الله تعالى، أو يفعل ما يكرهه الله مما نهاه عنه ويحتقر هذا العمل.

هذا الأساس ـ المحبة ـ هو الأصل الذى أُسس عليه الدين، ولولاه ما صبر رسول فى

الدعوة إلى الله، ولا بذل الأنصار والمجاهدون نفوسهم وأموالهم وأوطانهم فى سبيل محبته، ولا صبر عبد على صلاة ولا صيام ولا حج ولا بر ولا صدقة ولا جهاد، ومن لم يذُق صافى شراب المحبة وملأ بطاح الأرض وصفاح السماء بالعبادة، فإنما هو أجير سوء، وما أثنى الله سبحانه فى كتابه على أصحاب رسول الله ﷺ إلا بالأعمال التى أنتجتها المحبة، فلم يقل: يصلون ويصومون ويحجون فى مقام الثناء، ولكنه قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ الحشر ٩، وقال: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ الحشر ٩، وقال: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب ٢٣.

وقد وردت أحاديث كثيرة فى الثناء على رجال من الصحابة بما قاموا به من الأحوال الدالة على كمال المحبة، قال ﷺ: (أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر)، وقال للأنصار ﷺ: (إنكم لتكثرون عند الفزع)، والآيات القرآنية والأحاديث الواردة فى الثناء والشكر من الله تعالى لا تحصى.

فكل رجل من رجال آل العزائم ينبغى أولاً أن يحصل المحبة، ومتى عقد القلب على قدر حبة من المحبة جذبته العناية إلى الله تعالى فأحبه سبحانه، والمُحب كيف يخالف محبوبه! فمن فعل مكروهاً أو ترك مندوباً من أحكام الشريعة، وادعى أنه سالك فى طريق آل العزائم، فدعواه تحتاج إلى حُجة، وكثير من الإخوان يدعون المحبة، وتلوح عليهم أشرف علاماتها حتى يكونوا كالراح والريحان لغيرهم، ثم تعتريهم فِترة، فلا يزورون المرشد ويزيدون على ذلك الاعتذار والعاشق لا يعتذر.

ماهى مجاهدات آل العزائم

الجهاد بذل ما فى الوسع لدفع العدو أو قهره حتى يخضع، وهو الأساس الذى تقوم به الحُجة على قوة الإيمان، والركن الذى تتضح به المحجة للسير إلى الفوز بالرضوان، وبدونه كل أعمال المؤمن دعوى تحتاج إلى دليل، والمجاهد إما أن يجاهد المملكة الفردية وهى

مجاهدة السالك نفسه فى ذات الله تعالى، وهذا هو الجهاد الأكبر الذى لا يصبر عليه إلا آل العزائم من كُمل الصديقين:

مجاهدة النفس

تعلم ـ أيدنى الله وإياك بروح منه ـ أن السالك بين جيشين عظيمين، جيش الحق وجيش الباطل، والجيشان فى ميدان المنافسة للظفر بالمُلك، وجيش الباطل فى الإنسان أقوى وأكثر من جيش الحق، فإن ما يجاهد عليه جيش الباطل ليناله محسوس ملائم للنفس، وما يجاهد عليه جيش الحق غيب يُنال غداً. وما كان محسوساً كان أقوى فى الإغراء والرغبة فيه.

لذلك يجب على السالك فى طريق آل العزائم ألا يتهاون فى أمر جهاد هذا العدو صابراً مُصابراً مُرابطاً، وأن تكون يقظته أتم عند قهر العدو، أو عند الهدنة، فإن للشيطان والحظ والهوى دسائس خفية قد تظهر فى فضائل ومحاسن، فقد تلتبس عليه ـ بحسب دسائس العدو ـ العادة بالعبادة والطمع بالمحبة والرياسة بظن تجديد السُنة، فيكون هاوياً فى مهاوى الضلال معتقداً أنه من عُمال الله.

لذلك لزم أن يهتم فى حال المجاهدة بتخليص النوايا والقصود، فقد تكون المجاهدة باباً من أبواب الشيطان لجهل السالك بدسائس النفوس، كما يحصل لمن يحب الخلوة من الغرور ووسوسة العدو، وما يتولد فى قلبه من حب الشهرة والسؤدد بذلك، أو نيل الكشف والمشاهدة وعلم الضمائر، أو استخدام الأرواح لجلب الخير ودفع الضرر، أو الزهو بالنفس وكرامتها من التدنس بالاجتماع على العامة، وتلك أمراض خفية.

أما العلل الباعثة التى يقصدها أهل الغرور، فصاحبها ليس بسالك فى طريقنا هذا.

أنواع المجاهدة

أنواع المجاهدة ثلاثة: مجاهدة الحس والنفس والعقل والجسم فى التسليم لرسول الله ﷺ تسليماً يكون السالك به أشبه الناس برسول الله ﷺ فى جميع شؤونه، ثم مجاهدة السالك نفسه على نيل الكمالات التى لا تلائمها من مراقبة الله فى كل أحوالها، حتى يستحى أن يعصى الله فى خلوة، ومن الرضا عن الله بالقليل من الضروريات، وهذا النوع يجب أن يكون المجاهد فيه محافظاً على أدب الأئمة الهادين المرشدين، فلا يستظهر عليهم حفظاً للوسط، وكفى المجاهد شرفاً أن يكون منهم أو معهم، لأن هذا النوع مزالق أقدام السالكين، فقد يتجاوز آدابهم فلا يستطيع، فينقلب والعياذ بالله، يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة ١٤٣. وهذان النوعان هما الجهاد فى الله تعالى.

النوع الثالث وهو الجهاد فى الله تعالى حق الجهاد، ولا يصح حال أهله إلا بكمال مشاهد التوحيد، حتى تخلص النوايا توحيداً ومعاملة. والواجب على المجاهد فى هذا المقام ـ إذا كان فى حضانة المرشد ـ ألا يتجاوز مقدار الشريعة إلا بإذن صريح من المرشد، خشية من أن تلوح لامعة من بوارق قدس الجبروت على قواه الروحانية فتنمحى معالم رسمه، وتنهار دعائم سوره فيقع فى التيه أو فى غياهب التشبيه، لأن هذا الجهاد نهاية طريق آل العزائم فى حصون أهل الملامة، ومعلوم أن أهل الملامة شيخهم الحقيقى رسول الله ﷺ، لأنه أول من تحمل آلام الملامة الفادحة بالرضا عن الله تعالى، والصبر على نجاة الناس من الشرك.

ولآل العزائم فى هذا المقام أحوال علية لا تخرجهم عن الآداب الشرعية، ولكنها تدل على كمال اليقين، فقد يفارقون ما لابد لهم منه من الطعام أو الشراب والحظوظ والشهوات والمساكن والنساء والأولاد والأموال محتقرين كل ذلك فى جانب أنسهم بالله تعالى، ومن أعطى الكل أخذ الكل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ الفتح ١٠، باعوا والله النفوس والنفائس بعزيمة وقبول فأعطاهم الله الكل، وهذا غذاء الأرواح لا يطيب للأشباح ولا للعقول، فقد تنكره أكمل العقول، ومن قرأ تراجم من عذبوا فى الله من الصحابة يعلم مقدار أُنسهم بالآلام وفرحهم بفادح المجاهدات.

وهذا المجاهد هو الذى أعانه الله على القيام بما أمره به فى قوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ بدليل قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ الحج ٧٨، وبإقامته مقام رسله نص قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾ الحج ٧٨، فهو يجاهد فى وجوده ونسبته إليه فيما أمده الله تعالى به ورتبته منه، فاراً من عوالم مُلكه وملكوته، ومن أُنسه بالمشاهد الروحانية، ومن علمه ومعلومه ومن عرفانه ومعروفه، كما قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ الذاريات ٥٠، وتفصيل أحوال هؤلاء لا تفى به العبارة ولا تبينه الإشارة، قال ﷺ: (إن الله يكره لكم أن تبينوا كل البيان)، وما فوق ذلك من البيان يكون من الفم للأذن للقلب، وقد يكون بالإلهام من الله تعالى.

ما احتياج المسلم إلى الطريق

كل مسلم على يقين أنه مسافر إلى الدار الآخرة، وأهل الإيمان منهم مسافرون إلى رحمة الله ودار النعيم الأبدى، وأهل الإحسان مسافرون إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر، وأهل الإيقان مسافرون فراراً من الكونين إلى المكون جل جلاله، ولما كان المسافر إلى مكان ناءٍ لا يخلو حاله إما أن يكون عالماً بالطريق متمرناً عليه أو لا، فإن كان عالماً به احتاج إلى رفيق يعينه على مهام شؤونه، حتى يكون على يقين من أنه إذا نسى ذكره وإذا تذكر أعانه، وفى الحكمة: " الرفيق قبل الطريق" . وإن كان جاهلاً بالطريق احتاج إلى دليل موثوق به مشهور بين الناس بتوصيل المسافرين.

هذا ولما كان المسافر لابد أن يترك وراءه كل الآثار والمعالم التى تحول بينه وبين نيل المقصد من وطنه وأهله وأولاده وأقاربه، حتى يتسنى له نيل هذا المقصد العظيم، فكذلك المسافر إلى مقصد من المقاصد المتقدمة، لابُد أن يفارق معالم وآثاراً كثيرة تحجبه وتبعده عن مقصده، والحُجُب فى السفر المعنوى أكثف وأشد من الحُجُب فى السفر الحسى، فقد وصل العقل إلى مقدمات أنتجت له التكلم مع المحبوب النائى عنه بواسطة الموصل السلكى (المسرة)، وأمكن العقل أن يضبط صدى صوت حبيبه محفوظاً لديه يسمعه متى شاء بآلة

تعقيب الصدى الحاكى(الفونوغراف)، ولكن هذا المقصد ليس للعقل اقتدار أن يقربه بآلة أو بأداة، بل لابد من فادح المجاهدات وعظيم المكافحات، حتى يفارق كل تلك القواطع والحُجُب مرة واحدة، وبدون مفارقتها لا يصل كما وصل الحس بمجهودات العقل، فسمع صوت حبيبه محفوظاً أو ملفوظاً، وقد يرى حبيبه بالتصوير وهو مُتكئ على فراشه ينظر إليه فى الصورة ويسمع صوته فى الآلة، وذلك لأن الذى يفارقه المسافر إلى الحق حقائق فى ذات الشخص لا تفارقه إلا بفادح المجهود، وما دامت تغشى جوهر النَفْس فالنَفْس فى اللبس.

ولو حصل المسلم علوم الأولين والآخرين ولم يظفر بدليل ـ فى مقام جهالته بالطريق أو برفيق فى مقام علمه به ـ لا يصل إلى قصده، ولو أن الله جل جلاله قدر ذلك فى أزله لأظهره فى ملائكته المجردين عن المادة ولوازمها، أو منح ذلك رُسُله الكرام، فإن الله تعالى ألزم الملائكة أن يتلقوا من آدم، وأمر الرُسُل أن يتلقوا من جبريل، وقد صحب جبريل رسول الله ﷺ فى إسرائه وفى سيره ـ وهو من تعلم جلالةً وقدراً ـ حفظاً للناموس الإلهى، حتى ينفرد جل جلاله بالعلم بذاته لذاته.

هذا من حيث ما يتعلق بهذا الموضوع عقلاً، أما من حيث الذوق فيه، فإن العلم كالمال والعافية والجاه يكسب النفس غروراً وعلواً، وهما العقبتان القاطعتان عن الله تعالى، ولو أن العلم ينفع فى السير إلى الله تعالى لكان أول منتفع به إبليس، وهو من تعلم علماً ومعرفة بقدر نَفْسه وعلمه، ولما لم يكن له مرشد يرشده ضل وهوى.

إن الله أرسل الرسل ـ وهو الحكيم العليم ـ لأنه خلق الخلق خطائين بأنفسهم جهلاء بحسب حقائقهم، وإنما المرشد للسالك مُنزل بمنزلة القوت للروح والعقل علماً والغذاء للجسم عملاً، ومُنزل للواصل منزلة الشمس المبينة للحقائق، ومنزل لأهل التمكين بمنزلة الاتحاد، حتى يكون المتمكن مع المرشد هو هو، حالاً وعقيدة وعملاً وشهوداً. وأنت تعلم يا ولدى أن الجسم الحى يفقد حياته بفقد الغذاء، وأن العين المُبصرة تخفى عليها الحقائق باحتجاب الشمس، وأن المتمكن قرباً من الله تعالى يفقد كرامة الله له بفقد ما به وصل إلى الله تعالى، وإنما سُميت مجاهدة النفس وتهذيبها وتجميلها بمحاب الله ومراضيه طريقاً؛ لأن الإنسان فى هذا المقام يفارق عوائده المهملة وأخلاقه الوحشية وهمته الإبليسية وصفاته

البهيمية الشهوانية، حتى يكون أشبه برسول الله ﷺ، وما أعظم هذا الذى يفارقه، وما أشد احتياجه إلى مُعين قوى مؤثر مُعتقد فيه.

وهناك فوق الذوق إشارة فسلم: إن الله تعالى ظهر لملائكته فى مظهره، وظهر جل جلاله للسالك المخلص آمراً ناهياً مبيناً فى مظهره الأكمل خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وآله، وظهر ﷺ فى المرشد فيُفصل لصاحبه حتى تبلغ العقيدة به مبلغ أنه يرى مخالفته مخالفة لرسول الله ﷺ. لذلك كان لابُد من الرفيق فى الطريق، يقول ﷺ: (اللهم ارحم خلفائى)، وخلفاؤه ﷺ هم العلماء الربانيون الذين يحيون سُنته بعد مواتها. ويقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ النساء ٨٣. وأولو الأمر منهم هم الذين منحهم الله الفقه فى دينه لأنهم أهل أمر الله تعالى، ومن لم يعتقد أن له مرشداً يصحح عليه حاله فهو مغرور بعيد عن الحق.

وهنا أنبه السالك أن يحفظ الموازين مع أكمل المرشدين، وألا يقبل من المرشد ـ فى كل مرتبة من مراتب السلوك ـ إلا ما يعلمه من كتاب الله وسُنة رسوله ﷺ صريحاً أو تأويلاً، حتى يبلغ مقام الإلهام، ولديها يجب أن يؤول للمرشد، فإن لم يبلغ بتأويله فهم الحكم سلم له ووقف عن العمل، حتى يمنحه الله نوراً تستبين له به الحقيقة، فإن المرشد إنما يزكى نفوس المريدين، فهو طبيب روحانى يجب على السالك أن يتعاطى عقاقيره التى لا تخرجه عن آداب الشريعة مهما كانت، كما إذا أمره بالأسباب وهو فى التجريد، أو بالتجريد وهو فى الأسباب وأمثال ذلك.

ما يناله السالك بانتسابه للطريق

الطريق والصراط والمنهج ألفاظ مترادفة يراد بها ما يسهل به الوصول إلى المقصد، آمناً سالكه على نفسه وماله من وعثاء السفر أو سوء المُنقلب، وقد قررنا فيما سبق أن السالك إلى الله تعالى يفارق حقائق كثيرة، لا يتسنى له الوصول ما دام واقفاً عندها، وكل حقيقة من تلك الحقائق كجبل سد مسلك المسافر إلى الله تعالى.

ولما كانت أسس الدين أربعة: العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق. وكانت النجاة متوقفة على الأساس الأول الذى هو العقيدة، وعلى قدر قوتها يكون الوصول، فإن أصحاب رسول الله ﷺ سبقونا بقوة الإيمان، وسبقنا التابعون بوسعة العلم ونحن جئنا بكثرة العمل. ولا تساوى بقوة الإيمان شيئاً، فنحن فى حاجة إلى قوة الإيمان ولو جهلنا كل شىء إلا ما لابد منه لنا، وتركنا كل عمل إلا ما فرضه الله علينا، إذ وسعة العلم وكثرة العمل مع ضعف الإيمان لا تُجدى شيئاً، ولكن العقيدة الحقة تنتج العبادة الحقة والأخلاق الجميلة والمعاملة الحسنة، والرعاية التى تجعل المسلم حاضراً مع الله أو موقناً بحضور الله معه، يقول ﷺ: (.....فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

هذا والقائمون بالدعوة إلى الله أنواع، فخيرهم وأنفعهم من جمله الله تعالى بقوة الإيمان وبمعرفته سبحانه، وبعلم حكمته وأيامه وأحكامه، وهذا هو وارث رسول الله ﷺ، وهو السعادة العظمى لمن سَلَمَ له، وحصن الأمن لمن اقتدى به، وهو المعنى بقوله ﷺ فى الحديث القدسى: (من آذى لى ولياً فقد آذنتُه بالحرب)، لأنه الصورة الكاملة لرسول الله ﷺ والخليفة القائم لله بالله، مُجدد المنهاج ومُقيم الحُجة ومُبين المحجة، وهو المُراد بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ فاطر ٢٨، ثم يلى هذا الفرد رجل منحه الله الورع فى دينه والخشوع فى عبادته وهو الزاهد العابد. ثم يلى هذا رجل منحه الله الرحمة فى قلبه والشفقة على عباد الله، وهو من أهل المعاملة. ثم يلى هذا رجل زكَّى الله نفسه وطهر أخلاقه، حتى ذلت نفسه فى عينه وهو المتخلق بالأخلاق الجميلة.

وكل واحد من هؤلاء يجمل السالك على يده بما جمله الله به، وكلنا نعلم أن الله يهب على

الأخلاق ما لا يهبه على غيرها، فكل مسلم لا يتربى على يد مرشد لا يذوق لذة الإيمان ولا لذة التقوى، وربما اغتر بأعماله فأفسد إبليس عليه حاله، وكم سالك زلت به قدمه، وواصل ارتد على وجهه، ولا أمان لمكر الله، فالسالك على يد المرشد فى حصون الأمن من وسوسة الشيطان وخدع النفس، وبه ينال الرُقى إلى مقامات اليقين من التوبة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والمشاهدة والرضا والصبر وغيرها، حتى يبلغ مقام المقربين، ويكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

إذاً يتعين على كل مسلم أن يتلقى تلك الأسرار، وأن يقتدى بالمرشد فى الأعمال ليكون أشبه الناس برسول الله ﷺ، وكل مسلم لم يتلق العلم من العالم الربانى ولم يقتد بالمرشد الكامل، يخشى عليه من الشرك الخفى أو الأخفى من الغرور بالنفس والعمل والنسب والجاه، نسأل الله السلامة من الآفات فى الهجرة إلى الله تعالى، إنه مجيب الدعاء.

من هو المرشد

هو الدال على الخير العامل به، الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر.

وأنواع الإنسان أربعة:

إنسان كُلى وهو رسول الله ﷺ.

وإنسان كامل وهم الرُسُل القائمون مقامه ﷺ، قبل إشراق شمسه المحمدية فى عالم الإمكان، وأبداله صلوات الله عليه المجددون لسُنته بعد رفعه عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى.

وإنسان روحانى وهم السالكون المقتدون.

وأما الرابع فحيوانى عاص من المسلمين، أو شيطانى غاو كافر أو منافق.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن يُخلق الإنسان وسطاً بين العالمين، وأن يخفى عنه ما به سعادته الروحانية، وأن يلهمه ما به سعادته الدنيوية، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ النحل ٧٨. ومعلوم أن السمع والأبصار والأفئدة آلات لتحصيل العلم بالله وبأيام الله وبأحكام الله، فالأذن تصغى للحكمة والعين تشهد أنواع الآيات فى الكائنات والقلب يفقه تلك العلوم.

أما ما يتعلق بالضرورى والكمالى من الدنيا فلا يتوقف تحصيله على مرشد، لأن كل أنواع الحيوان ألهمت بالفطرة طريق تحصيل ما لابد لها منه، والولد يولد من بطن أمه عالماً بما به حفظ حياته من الرضاع إلهاماً من الله تعالى.

ولما كانت العلوم والأعمال التى بها نيل مراضى الله ومحابه ليس للعقل أن يحصلها إلا بمرشد، اقتضت الإرادة الإلهية أن يبعث الرُسُل مبشرين ومنذرين. ولما كان ما جاء به الرُسُل صلوات الله وسلامه عليهم، قد يخفى فهمه على أكثر الناس ـ بعد رفعهم إلى الرفيق الأعلى ـ تفضل الله تعالى فأناب عنهم أبدالاً لهم، يقيمون حُججه ويوضحون محاجه،

ويبينون للناس سبله سبحانه، لنحكم على عجز العقل عن نيل ما به السعادة، بل وعن هجومه على الغيب المصون، قال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ القيامة ١٩، فهو المبين سبحانه، ولكن يتفضل تنزلاً فيبين لكل مرتبة من المراتب على قدر ما تُطيقه القلوب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ الأنعام ٩، وقال عليه الصلاة والسلام: (رحم الله خلفائى). وقال صلوات الله عليه: (يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها). ومعلوم أن السالك فى طريق الله تعالى إذا لم يؤسس سيره على محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، وحب الخير لخاصة المسلمين وعامتهم لم ينل خيراً، والسالك الذى لا يقوم بإخلاص عاملاً لله على هدى رسول الله ﷺ قلَ أن يصل إلى مقصوده.

ولما كانت محبة الله تعالى لا يظفر بها السالك إلا بسماع ما له علينا سبحانه من النعم، وفهم أنوار جماله وأسرار بهائه وعظمة جلاله وسواطع أنواره، وإدراك مراتب الوجود ونسبته فى مرتبته، وما تفضل الله به عليه من خلقه بيديه، ومن نفخته فيه من روحه، وسر سجود الملائكة لآدم، وحكمة جعله خليفة عنه فى الأرض، وعنايته سبحانه بالإنسان حتى أعد له ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فى جوار قدسه، ومنازل الأطهار من خيرة خلقه، وبذلك يحصل له الحب الجاذب إلى حضرة القرب من الله تعالى.

وكان كل ذلك لا يناله السالك إلا بصحبة المرشد القائم مقام رسول الله ﷺ، كان لابد لكل سالك من مرشد، فالمرشد فى الحقيقة هو صورة رسول الله صلوات الله عليه المجملة بجماله المحمدى، إلا أنه لا يوحى إليه، انطوت النبوة بين جنبيه وحفظ الله قلبه ولسانه لأنه مُمد من روح العصمة، فهو النجم المضىء لأهل عصره، وقد جعل ﷺ المرشدين ـ فى مقام التمكين ـ إخواناً له فى الحديث الطويل: (وددت لو رأيت إخوانى الذين لما يأتوا بعد) بسند مالك بن أنس فى موطئه، فأنزلهم منه صلوات الله عليه منزلة الإخوان لأن الله تعالى أكرمهم بأن جعلهم ورثة أنبيائه.

وللمرشد اقتباس من مشكاة رسول الله ﷺ تنكشف به غياهب البدع، وظلمات الفتن فى كل زمان، فهو حجة الله تعالى القائم للحى القيوم، وهو الإنسان المجمل بجمال الصديقين قولاً وعملاً وعلماً وخلقاً وعبادة ومعاملة وعقيدة، كما قال ﷺ: (الولُّى من إذا رُؤي ذُكر

الله لرؤيته)، وقال: (الولى إذا دخل بلداً كمل إيمان أهلها).

المرشد ينوع الأفكار ويقوى اليقين الحق، وتزكو به النفوس وتنشط الأبدان للعبادة، ومن أكمل صفاته أن الله يلقى عليه محبة منه فلا يراه مؤمن إلا أحبه، ولا منافق إلا هابه، ولا كافر إلا خاف منه، فهو صورة رسول الله ﷺ والمرآة التى أشرقت فيها معانيه المحمدية.

من هو السالك

هو إنسان مُسلم منحه الله النور الذى يقبل به الخير ـ والنور فى اصطلاحنا هو القابل ـ وحفظه سبحانه وتعالى من فعل ما يخالف ما أنزل الله على نبيه ﷺ وإن قبله فى بدايته من غير المرشد الكامل أهمه الله الفرار إليه سبحانه ودله على المرشد، فكان من خير أصحابه، لأن ما يجعله الله من النور فى قلب السالك إليه جل جلاله يستبين به الحق والباطل، فيجذبه الله إلى الحق بدليل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ البقرة ٢٥٧، وقوله ﷺ: (يدُ المؤمن فى يمين الله كلما وقع أقامه).

والسالك يشتاق إلى الحق، والمشتاق إلى الحق قوى المسارعة إلى الحكمة، ولشوقه إلى الحق إذا سمع كلمة الحكمة تلقاها ولو من عدو لله، قال ﷺ: (الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنىَّ وجدها)، وسماع الحكمة يجعل النفوس تعظم حاملها، ولكن قد يكون حامل الحكمة غير الحكيم يحفظها ولا يفقهُها، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ الجمعة ٥، فإذا نطق الناطق بالحكمة قبلها السالك منه، ثم وزن أحواله بهذا النور المجعول له من الله، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ النور ٤٠.

فإذا اطمأن لها قلبه، وشهد من الحكمة العمل بها، أحبه واقتدى بعلمه وعمله وحاله، وإذا لم يطمئن قلبه ولم يشهد عمله بالحكمة أخذ منه الحكمة وفارقه. فليس كل محصل للعلم عالماً، ولا كل مبين للأحكام بدلاً من أبدال الرسل، قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ الأعراف ١٧٥. وقال ﷺ: (قراء أمتى فُساقها).

إذا فهمت يا ولدى هذا؛ فلا تعتبر السالك فى طريقنا إلا إذا جمله الله بكل تلك المعانى، وأنت تعلم يا بنى أن أصحاب رسول الله ﷺ كان بينهم المنافق والشاك والمتردد فى دينه، والمُظهر الإيمان لغرض من الأغراض، وكلهم يرون من رسول الله ﷺ الميل والتأليف، مع إعلام الله إياه بحقيقة ما انطوت عليه قلوبهم، قال ﷺ: (أُمرت بمداراة الناس)، وقد أمرنا ﷺ أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

فالسالك حقاً من منحه الله التسليم وقدر له صحبة المرشد الكامل، فأفرده بالقصد دون غيره من الخلق، حُباً فى أن يفوز بمعية رسول الله ﷺ بنيل صحبة أشبه الناس به شوقاً إليه عليه الصلاة والسلام، ويكون فى الحقيقة فى معية النبى عليه الصلاة والسلام، بمعنى أنه لا يعتبر للمرشد وجوداً فيعظم أمره ونهيه، وإنما يكون وجوده فى معية الحبيب المصطفى، فيقبل من المرشد ما يعلم أنه من السُنة، ويرد ما لا يفقهه قلبه من القول والعمل، معتقداً أن السلوك هو العمل بصريح السُنة والكتاب، حتى يمنحه الله تعالى المراقبة أو المشاهدة، فهو لا ينكر على المرشد الكامل فيما لا يفقهه قلبه مما يعتقد أنه حق فى مرتبة المرشد مادام المرشد لا يفعل محرماً ولا يقول بضلال، مثال ذلك: أن المرشد إذا ترك الأسباب أو عمل عملاً يقتضى مهانة من تغيير هيئة أو فرار إلى الغابات أو فارق النساء والمشتهيات، أو مالت نفسه إلى السماع أو زار الملوك والأمراء مما حصل للأفراد من المرشدين، فلا يقلده السالك فى ذلك ولا ينكر عليه.

أما إذا فعل محرماً أو أمر به أو ترك فريضة، وجب على السالك مفارقته بسرعة ـ ولو كان المرشد يريد امتحان السالك فى طاعته أو يريد امتحانه فى يقينه برسول الله ﷺ ـ وعلى السالك فى مثل هذه الحال أن يستبين الأمر منه جلياً مع التمنع عن الوقوع فيما يأمره به.

أما السالك الذى لا بصيرة له إذا قلد المرشد فى عمله المتقدم، أو سلم له فيما يعلم حرمته فلا يعتبر عندنا فقيراً من فقراء الطريق، فإن المراد بالسلوك تجاوز عقبة الإلحاد والانتشال من وحلة التوحيد والتخلى عن نظر النفس ونزوعها، حتى يكون السالك إنساناً مُسلماً مُقبلاً على الله بكليته.

وأهم صفات السالك إلى الله تعالى إيثاره إخوانه على نفسه، والزهد فيما فى أيدى الناس

إلا لضرورة مقتضية، والمسارعة إلى أن يكون نافعاً لإخوانه بقدر استطاعته، والسمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ وللمرشد مادام آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر.

ومن أخص علاماته قبول ما لا يلائم نفسه بانشراح صدر وفرح، والوقوف عند أدبه مع المرشد مهما أثنى عليه ورفعه، وعدم الغرور بنفسه ولو أقبل عليه العالم أجمع، ما دامت شمس المرشد مشرقة فى أفقه حتى يبلغ اليقين الحق.

السالك المصاحب للمرشد

السالك المصاحب للمرشد لم يبلغ درجة المرشد من العرفان، والمعرفة بها كمال التحقق فى العبودية، وقد يرى بعض السالكين يعمل ما يخالف الشريعة مُظهراً أنها من المعرفة، ولو أن المعرفة تبيح مخالفة الشريعة لكان أولى بذلك الخلفاء الراشدون والمرشدون الكاملون، ومعرفة تبيح مخالفة الشريعة معرفة، ولكنها معرفة الشيطان، وإلهام ولكنه من إبليس، ومخالفة المرشد دليل على الخيبة.

وما هى المعرفة؟ المعرفة أن تعرف نفسك فتعرف بمعرفتها ربك، وهل المعرفة التى تُفقد العبد حقيقته حتى يكون إلهاً أو مخالفاً لأحكام الإله معرفة! هى ظلومية وجهولية، إنما المعرفة حفظ الأدب فى الطلب، وكشف الحقيقة للحفظ من العطب، ومتى كان العبد المقهور يصير رباً قادراً!

والسالك يقف موقف الأدب مع المرشد فيعادى شهوده إن خالف عبارة المرشد، ويكره إلهامه إن أخرجه عن الأدب مع المرشد، وإنما السالك فى طريقنا هذا ميت أحياه الله وجعل له نوراً يمشى به فى الناس من غير شك ولا إلباس، وإشارات المرشد كأشعة أنوار الشمس تظهر ما حسن وما قبح، فتستبين النفوس الإبليسية من النفوس الملكوتية مع المرشد، ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ البقرة ٢٦.

وللسالك أخلاق روحانية وآداب إحسانية، فهو فى الحقيقة عين المرشد وإن كان مريداً، ومُراداً لله تعالى وإن كان بعيداً، فإن السالك ليست له إرادة ولكنه مُراد من الأزل. حفظنى الله وإخوتى المؤمنين جميعاً من صحبة المضلين، ومن الإصغاء إلى الجاهلين، وبين لنا كتابه وسُنة نبيه بلسان وعمل أفراده المحصنين بحصون أمنه، إنه مجيب الدعاء.

تذكرة

ما مر بك أيها الأخ المؤمن نبراس أضاء لك الطريق، ونور من المشكاة النورانية لفيض قدسى من الحضرة المحمدية على قلب الوارث الكامل، فترجم به اللسان المبين على قدر القابل، ولو شهد الوعاء كبيراً والقلب مملوء سكينة لقرأت العجب العجاب هذا وإن القسم الثانى لحلاً لرموز وكشفاً عن كنوز خفيت عن رجال وسترت عن أبدال، تحتاج لنفس زكية وروح علية وقلب خلا من اللون وحس اشتغل عن الكون وعقل عقل عن الله، فذاق سر ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦، نرجو أن تكون كذلك حتى تحيط بها هنالك، فودع عقلك الحاجب وحسك الشاغل، واقرأه بعين بصيرتك واعقد العزم على نيل بغيتك واعتصم بالله ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ آل عمران ١٠١.

الله جل جلاله

هو الاسم الأعظم الواجب الوجود لذاته، المُفرد العَلم الدال على الإله الحق دلالة جامعة لجميع الأسماء الحُسنى والإلهية الأحدية، الجامع للجمال والجلال والبهاء والنور والضياء والكمال لذاته بذاته.

ومن الأثر ترك التكلم فى اشتقاقه وجموده، ومن اصطلم فى إلهانية الرب جل جلاله واصطنع لمهيمنيته سبحانه غاب عن الموجودات وفر من المكونات علواً وسفلاً، كما قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ الذاريات ٥٠.

وأهل العزائم منحهم الله النور الذى به أفردوا حضرة هذا الاسم المقدس بالقصد دون غيره، لما فى جميع الأسماء من الصفات التى تدعوا السالك إلى التأله لها إلا هذا الاسم الأعظم، فإنه ـ مع دلالته على جميع الكمالات استجماعاً ـ لا يَلحظ من اصطفاهم الله فى حالة الإلهانية غير الأحدية فى عماء العماء وغيب الغيب، تفريداً للحضرة العلية بالقصد، وفراراً من الغين إلى العين.

ذكره حضوراً طمأنينة القلوب، والنطق به وجوداً خروج من الظلمات إلى النور، وهو سبحانه وتعالى وليُ المؤمنين، قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ الشورى ٩، لا يخلص إيمان مؤمن من الشوب إلا إذا تأله له دون غيره، وهو جل جلاله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

محمد رسول الله

أول الرسل وخاتمهم صلوات الله وسلامه عليه

هو سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الذى أرسله الله رحمة للعالمين وسراجاً منيراً، أسرج سُرج الرسل والأنبياء من قبله، والصديقين والشهداء من بعده، سماه الله سراجاً منيراً ولم يسمه شمساً، لأن السراج يُسرج غيره، ولكن الشمس لا تجعل شمساً غيرها، وهو ﷺ أول الإرادة وآخر العمل.

وهنا أبسط لك بساط المؤانسة لتلحظ بعيون روحك وميضاً من سر منازلاته ﷺ، وتقتبس بسرك قبساً من مشكاته المحمدية، تكون به متجملاً باليقين الحق فى مقام العبودية المطلقة.

إن مقتضى كمال الأسماء والصفات إبراز المرائى التى تظهر فيها تلك المعانى، ولما كان العالم أجمع إنما خلقه الله تعالى ليظهر سبحانه ببدائع إبداع صنعه، وغرائب حكمته وعجائب قدرته، وظهوره إما لنفسه فاعلاً مختاراً، أو لخلقه رباً معبوداً قادراً قهاراً، اقتضت إرادته الأزلية تعيين حقيقة كاملة قابلة لكمال تجليه وظهور معانيه، فكانت تلك الحقيقة المختارة لحضرته هى حقيقة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

اقتضت تلك الحقيقة فى حضرة العلم مقتضياتها التى بها تكون سدرة منتهى علوم الخلائق المغشية بكمال ظهور المعانى ـ معانى الأسماء الربانية ـ ومظهراً أكمل لكمال المعانى المناسبة لحضرة الألوهة من العبودة والعبودية والعبادة، روحاً وعقلاً وجسماً وحساً.

ومقتضيات تلك الحقيقة ظهورعالم يطيع فلا يعصى، وهو ثلاثة أنواع:

١ أعلى عليين، وهم الآلهون المهيمون بجلال الله فوق عمار سمواته.
٢ وعالون، وهم الحافون بعرش الرحمن وهم الكروبيون.
٣ وعمار السموات وملكوت الأرض، وهم الملائكة المقربون.

ونوع يعصى ولا يطيع، وهم المردة وشياطين الجن.

واقتضى الكمال الربانى أن تكون حقيقة أخرى قابلة للطاعة والمعصية، ليتم ظهور معانى الصفات، فخلق سبحانه آدم ورفعه على الملائكة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ البقرة ٣١ و٣٢، وآدم علم الملائكة بعض الأسماء، فكان آدم محيطاً بكل الأسماء، والملائكة فى حاجة إلى تعلم بعضها منه، ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ البقرة ٣٣.

ظهر مقتضى إرادة الله فى تلك الحقيقة، فأطاع آدم وعصى، قال تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ

﴿فَغَوَىٰ﴾ طه ١٢١، إبرازاً لسر الإرادة وإظهاراً لتجلى الاسم التواب الغفور العفو، وتنبيهاً لأولاده من بعده أن يُسرعوا بالتوبة إذا أخطأوا، فانبلجت حقيقة إرادة الله تعالى فى إظهار آدم.

افتتح سبحانه وتعالى إبراز تلك الحقائق بآدم، ليكاشف من اجتابهم بحقيقة نشأتهم الأولى أنها من أركان الوجود، التراب والماء والهواء والنار. فيعلم الإنسان نشأته الأولى فيقف موقف العبد خشوعاً لربه، ولذلك فالله تعالى كرر تلك الحقيقة فى القرآن أكثر مما كرر غيرها، وهى الدواء الأخير لمرض الشرك المنزل منزلة الكى فى المرض العضال، فكم قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ المؤمنون ١٢و١٣، فأثبت أن نشأة الإنسان الأولى من طين أو ماء مهين ليستحضر عند إسباغ آلاء الله عليه رتبته الأولى، شاكراً الله على جزيل نعماه. وإنى أبين لك فى هذه العجالة ما يمكن أن يحيط به عبد وجِهَ بأنوار تلك المكانة المحمدية على قدره ـ لا على قدر مكانتها من الله ـ قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء ٨٥.

خلق الله نور حبيبه محمد ﷺ من نوره، فهو العقل الأول الذى نظر الله إليه بدءاً، وخلق لأجله العالم أجمع، وتجلى فيه تجلياً عاماً حتى شوهدت تلك الأنوار القدسية لأعلى عليين ولعالين، وللملائكة عُمار ملكوت الله تعالى، فكان آدم مظهراً لشهود تلك المعانى للملائكة، ورسول الله ﷺ المظهر الأكمل لشهود تلك الغيوب القدسية للعالم الروحانى العالى والأعلى، وبتلك الجمالات نفسها زُج به فى نور القدس ووقف جبريل ـ الذى هو الروح الأمين ـ دون سدرته المحمدية قائلاً: لو تقدمت لاحترقت.

واتَقَ الله الرُسُل بدءاً له ﷺ فكان المواثِق ـ بكسر الثاء ـ هو الله، والمواثَق ـ بفتح الثاء ـ حقائق الرُسُل صلوات الله عليهم، فأشهدهم سبحانه وتعالى ظهوره حقاً فى حقيقة حبيبه ومصطفاه، ليلحظوا بالعيون التى وهبها لهم محاب الله ومراضيه فيما تقتضيه تلك الحقيقة، فصارت بكمال الاستحضار معالم بين أعينهم فى طورهم الدنيوى، يمثلونها للأمم ويرسمون صورتها على جواهر نفوس العالم وتشرق بهم شمسه ﷺ، ولم يخل سفر من الأسفار من لدن

آدم إلى عيسى عليهم الصلاة والسلام، إلا وتجمل بذكر اسمه، والحث على اتباعه والتوسل إلى الله تعالى بجاهه، كتم ذلك أعداء الحق من أهل الكتابين، ولكن القرآن الكريم بين لنا ذلك جلياً.

قام الله لحبيبه بدءاً، وأقام حبيبه مقامه ختماً فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الفتح ١٠، فانظر بعين روحك واصغ بآذانها، واحجب عن أذن حسك وعقلك فإن المقام فوق العقول ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الحديد ٢١.

بعث الله الرسل قبله بما لابد لأهل كل زمان من الكمالات التى بها يكون الناس فى أمن وأمان، وعلم بما يجب عليهم حتى تم الدور وتأهل الناس للكمال المُطلق، فأشرقت تلك الشمس الكلية بكل الكمالات التى منحها الله الرسل منه ﷺ، فكان ما جاء به الرسل قبله كمالات نابوا فى تبليغها عنه، وهو ﷺ أصل تلك الكمالات، فلما أشرقت شمسه أشرقت بالكمال المطلق الذى يدل عليه قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة ٣. وقد أنزل الله تعالى أُمة حبيبه ومصطفاه منزلة الرسل فى كل مقاماتهم، فكأنه قال للرسل: (اعملوا ولا حرج) لعصمتهم.

وقال لنا: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ الحج ٧٨، وأثبت للرسل الشهادة على الناس يوم القيامة وأثبتها لنا ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ البقرة ١٤٣، وواثق الرسل له ﷺ، وأثبت أنه بايعنا بنفسه، وبين للرسل بطريق الوحى وأبقى فينا هذا المقام مقام البيان ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ النساء ٨٣، وأثبت الخيرية للرسل وأثبتها لنا. انظر بعين عقلك لما أقول، فإن إثبات الخيرية للرسل بالوحى وإثباتها لنا بطريق الإلهام قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ آل عمران ١١٠، وهى وظيفة الرسل، فكما أقامهم صلوات الله عليهم مقامه ﷺ، أقامنا نحن مقامه ﷺ.

انتسخت شرائع الرسل وشريعته باقية لم تنتسخ ولن تنتسخ إن شاء الله تعالى، وهذا يدل على بقائه محفوظاً فينا، ونعوذ بالله من زمان نفقد فيه رسول الله ﷺ بياناً وتعليماً وعملاً وحالاً، قال سبحانه : ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾ الحجرات ٧، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ

﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ آل عمران ١٤٤، فأشار بالموت أو القتل إلى محمد ﷺ، وقال فى مقام حفظه فينا: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر٩ .

خلق الله العَالم لمحمد ﷺ، وخلق محمداً ﷺ لله لأنه مُراده المحبوب الذى هو مظهر كمال ظهور صفاته العلية، والحقيقة الظاهرة الجلية المجملة بمحابه ومراضيه من الأعمال التى أرادها لنفسه وأمر خلقه بعملها.

أرسله الله رحمة للعالمين، ونعم، لأنه رحم الحس بما أباحه له من النظر والسمع والشم والذوق واللمس والتمتع بنعم الله من مسرات المُلك والملكوت، ولم يكن ذلك قبله ﷺ لنبى ولا لولى.

رحم الجسم ﷺ بما متعه الله به من الزينة والرياش، والتنعم بالمشتهيات المباحة شرعاً والجزاء عليها إذا استعملها العبد بطريق الرعاية، قال سبحانه وتعالى : ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ الأعراف ٣٢.

رحم العقل صلوات الله عليه، لأنه جعله السلطان الفاعل فى الهيكل الإنسانى وأمر بالاقتداء به والنظر به فى كل الحقائق، فأظهر العقل سر تسخير ما فى السموات وما فى الأرض للإنسان وذلت الحقائق كلها أمام الإنسان بعد أن كان يعبد الأنهار ويقدس البهائم والأناسى، فظفر العقل بنهاية بغيته به ﷺ، وتلك الحقائق جلية، إذ قبله ﷺ كان العقل مملوكاً للشهوة والحظ والهوى، فكان الإنسان يعبد الحجر ويذل له، حتى بلغت عزة المسلم الذى خرج من الجاهلية العمياء أن يطأ ربه الذى كان يعبده بنعله، وكم من جاهلىٍّ أسلم، فكسر الصنم إذلالاً له وإعزازاً للحق، وكثير منهم أخذ قطع الأصنام فجعلها توضع فى المراحيض.

رحم الروح صلوات الله وسلامه عليه، بما أنعم الله به عليها من شهود آياته الجلية فى الكائنات، وأنواره الدالة على وحدانيته فى الآثار، ومن سياحتها فى ملكوته الأعلى، ومن إشرافها ـ إذا كَمُلت ـ على قدس عزته وجبروته.

رحم الملائكة وعالين وأعلى عليين، بما جمل الله به المسلمين من معانى رضوانه وعفوه وغفرانه وقبوله ومواجهته، وأهل حظائر المُلك يؤنسهم ويسرهم رضا مولاهم.

رحم العالم الحيوانى والنباتى بما أودعه من الرحمة فى قلوب المسلمين الذين يستعملون تلك الأنواع.

فصدق الله العظيم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء ١٠٧.

جمل الله حبيبه بأسمائه الحسنى ولم يجمل أحداً بهذا الجمال أبداً، فقال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ التوبة ١٢٨. وأكمل له الجمال بأن منحه كل أخلاقه الإلهية، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ القلم ٤، بإضافة خُلُق إلى عظيم، يعنى لعلى خُلُق الله تعالى.

أثبت له الشفاعة العظمى إثباتاً جلياً بيناً بقوله: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ التحريم ٨، وكلنا يفهم أنه رحمة الله العامة، ومن منحه الله تلك الرحمة لا يكون أُنسه ومؤمن فى النار يُعذب، ومعنى أنه لا يخزيه سبحانه يقتضى أن يكون له طلب وأمل ومقصد، وطلب هذا السيد العظيم ﷺ نجاة العالم الإسلامى فى هذا الموطن.

رفعه الله تعالى رفعة لم يرفعها أحداً أبداً، فأقامه مقاماً من الرفعة التى تناسب كمال الألوهية بجعل العالم أجمع يحمدونه، والحمد فى الحقيقة لا يكون إلا لله سبحانه، قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ الإسراء ٧٩، والمقام المحمود كما بينه العارف بعيون الكشف، أن يجلسه فوق العرش ويقول: يا محمد، أنا منزه عن الجسم وغنى عن المكان، فاجلس هنا ليعلم الناس مقدار منزلتك عندى. ولديها يحمده العالم أجمع، وهو المقام المحمود.

جمل الله الرسل من جماله، وقد ظفرنا والحمد لله بنسبتنا إليه مباشرة، فنحن أمته وهو رسول الله إلينا، وبه شرفنا وفُضلنا، وإن قصرت أعمارنا وقلت أعمالنا، وقد أظهر الله سر قوله للملائكة: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ البقرة ٣٠، فينا نحن أمته ﷺ، حيث وفقنا لطاعته وأشهدنا خفى مشاهد التوحيد، فنحن نصلى ونستغفر كما أمرنا ﷺ، والملائكة أثبتوا لأنفسهم التسبيح والتقديس: ﴿وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ البقرة ٣٠، ونحن نخشى من نسبة

القربات إلينا فنستغفر الله منها إقراراً بأنه الفاعل المختار، وأنه تفضل علينا فوفقنا لما يحبه، فله المنة والشكر فى أن أقامنا مقام محابه ومراضيه، ونسب إلينا ما خلقه لنا، فنخشى أن نغفل عن هذا المشهد فنستغفر الله تعالى رجوعاً إليه، وطلباً منه أن يستر علينا نقائصنا وجهلنا، ولم يكن ذلك للملائكة، وهذا المقام من المقامات التى لا ينزل فيها إلا خاصة أحبابه من المقربين فوق أهل اليمين، وذلك لم يكن بجهودنا ولا بكدنا، ولكن ذلك فضل الله علينا بحبيبه وسيدنا محمد ﷺ.

تلك النعم يا أخى لا تقتضى بطراً وكفراً، ولكنها تقتضى ذُلاً وشكراً، فاستحضر نشأتك الأولى وانظر إلى ما تفضل به الله عليك بانتسابك إلى هذا السيد العظيم ﷺ، وقِفْ موقف الحيرة عجزاً عن حصر الآلاء، والدهشة قصوراً عن عد النعماء، ثم انظر إلى هذا السيد بالعين التى تليق بما خَوَّلك الله لتعلم مقدار فضل الله عليك ولتذكر نعمة الله، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ آل عمران ١٠٣، يعنى محمداً ﷺ.

والشكر يا أخى فى هذا المقام كمال اتباعه ﷺ، لا تعجب يا أخى فاتباعه ﷺ واجب لكلماته ولأنه شكر للمنعم، ولكن الله تفضل علينا باتباعنا له فجعلنا محبوبين له.

إن التاجر الكيِس يترك النوم والراحة لربح قليل يزول بموته وربما كان لا ينفعه، فكيف بك أيها العاقل وأنت باتباعك له ﷺ تُمنح مسرات حسك ونعيم جسمك، وبغية عقلك وطلبة روحك فى الدارين، وتظفر بمحبة الله تعالى التى ترخص فى سبيلها الجنة ونعيمها.

أعجب يا أخى كل العجب من رجل يعمل الخير لنفسه، ليظفر بالحُسْنيين بتوفيق الله ومعونته، ثم ينسب الله إليه ما أعانه على فعله كأنه أوجده وأبدعه، ثم يمن عليه بمحبته جل جلاله، كل ذلك بسبب اتباعه له ﷺ، فما أخف ما أمرنا به وأسهله، وما أعظم وأجمل وأكمل ما تفضل به علينا، فشَقيٍّ والله عبد عَبدَ هواه ولم يتبع رسول الله.

أسأل الله سبحانه أن يوفقنا لكمال اتباعه، وأن يمنحنا الإخلاص، وأن يفنينا عن شهود الإخلاص فى أعمالنا، حتى لا يكون بيننا وبينه بَين يحجبنا عن شهود جماله الظاهر وإحسانه الوافر، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم.

على القدسِ هَلْ أشْرَفْتُ فى حالةِ الصفا ... فواجهنى المحبوبُ طه المصطفى
مواجَهَةَ الزُّلْفَىَ أم الشمسُ أشرَقَت ... فلاحَ الجميلُ الحقُّ جهرا بِلاَ خَفَا
وهَلْ أنا فى حالِ اتحاد به أنا ... بَكوْنِي أمْ قد عُدْتُ للبدء مُنْصفَا
فإن كان ما للرُّوحِ بدءاً يُرى لها ... ورَسمِى صلصالُ بِهَاويةِ الجفَا
تُحِيطُ بى الآثار من كل وجهتى ... وتجلى لى الأنوارُ والكونُ قد عَفَا
أليحِى أياَ رُوحِى الحقائق لِي عسى ... أشاهِدُ غَيْبَ الغيبِ فى حالةِ الوَفَا
أرى ساطِعَ الأنوارِ من غير حِجْبَة ... وفى الكونِ ناسوتِى من الرَّيْنِ ما صَفَا
تجردتُ فيما قد تَراءى لِنَاظرى ... أبالرُّوح أشهَدهُ وحسى قد اختفى
فهل نَفَذَتْ رُوحِى إلى الأفقِ العلىّ ... ورسمى فى السورِ المحيطِ وما اقْتَفى
أم الكَوْكَبُ الدرىُّ أشرقَ نورُهُ ... أضاء معاليمى فصحَّ لِي الصَّفَا
نعمْ أشرَقَت شمسُ الرَّبيعِ مُضيئةً ... تُدِيرُ لنا راحاً طَهوراً وقَرْقَفَا
أذِكرى بِبُشْرى أم ضِيا الوَجهِ لاح لِي ... فستَّر ناسوتِي وقد كنت خَائِفَا
أم الفَرْدُ فى الذِكْرى تَنزَّل مُنْعِما ... على من صَفوا بالقرب فَضْلُ الاصْطِفا
أياَ سيدى الذِكْرى تُجدد نَشْوتى ... فكُن سيدى بالفضْلِ والوصْلِ مُسعْفا
فأيام ذِكْرى مولدِ المصطفَى بها ... بُلوغُ الأمانى أحْيِ هذا الدَّنِفَا
أيا سيدِي نيلُ الرضاَ منك بُغْيتى ... وأنتَ غِياثِي أحى صبًّا شَغِفا

وقال نفعنا الله به:

ثَمِلْتُ منَ الشَّميم بَصحْوِ فَرقى ... فَكَيفَ إذا سقَانِي جَمْعَ شَوْقى
عبيرٌ أسْكَرَ الأرواَح لماَّ ... سَرَى سَحَرا فجدَّد نَارَ عِشْقى
سَرَى من طِيبةٍ بُشْرى لروحى ... يُلِيحُ لآلهٍ أنوَارَ حقِ
ألهتُ فغبتُ عنى فى شُهُودى ... فأظهَرَ نُورَهُ بجلىّ رقى
تراءى لى بعهد ﴿أَلَسْتُ﴾ عيناً ... جُذبت به إليه بصدق رقى
سمعتُ ﴿أَلَسْتُ﴾ كشفا فى اتصالى ... به ورأيت نورَ الوجهِ فَوقى

تَجلىَّ ظاهراً فى الكونِ حتى   به أفنىَ شُهوديِ حالَ مَحقْى
أنا سُترِْتُ ولاحَ الوجهُ نوراً   فأثبتنى له عَبداً بِعتْقى
ألاَحتْ لى ﴿أَلَسْتُ﴾ ضياَ المعالىِ   أمامِى الفردُ فى جَمعىِ وفَرْقى
أراهُ فى ﴿أَلَسْتُ﴾ وفى كيانى   جَليًّا نُورُه غَرْبىِ وشَرْقى
يُسترَّ نورُهُ شرقاً وغرباً   أنا المصباحُ نُورُ وميض بَرْقى
فتُخفينى المبانى فى ظُهورِى   تُظَللنى المعَانىِ فى التَّرَقى
رُقِيَّى حفظُ مرْتَبتى بِسُفْل   أكونُ العبدَ فى أطوَارِ خَلْقى

رمـز آدم

رمز آدم عجيب جداً فوق جميع الرموز، لا يتحقق وصول فرد من الأفراد إلا بعد أن يُفك له رمزه، لأنه الجامع لكل الحقائق من العوالم والوسط بينها، والصورة الكاملة للرحمن المجملة بجمال الخلافة عن ربنا جل جلاله، ومن تناول من شراب قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ الحجر ٢٩، وشم عبير قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة ٣٠، وفقه المحبة فى قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ ص ٧٥، بعد قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ يس ٨٣، وقوله سبحانه: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ الملك ١، يعلم أن آدم رمز الرموز، بل وكنز مضنون به على غير أهله.

رُبَ معترض علينا يقول إن الله تعالى قال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ الذاريات ٤٧، فأجيبه غير لائم عليه بجهله بمتن اللغة العربية: إن لفظة (أيد) ليست جمع (يد) بل هى مصدر (آد ـ يئيد ـ أيدا) وأيد فى الآية الشريفة (قوة)، أى والسماء بنيناها بقوة.

آدم وما أدراك ما آدم، خُذ منى بالإشارة وسلم، إن أعلى عليين بالنسبة لله تعالى كأسفل سافلين، وهو فوق العرش كما هو فوق الثرى، وهو رب العرش العظيم كما هو رب الثرى، والعرش والثرى سواء فى جانب الله تعالى، وكما أن الثرى ما جانسه ولا لامسه ولا جسه، فكذلك العرش، ولكنه يعظم ما شاء بما شاء، ويقرب إليه من شاء ويبعد من شاء، وينسب إليه من شاء وما شاء إحساناً وإكراماً، قال تعالى: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ البقرة ١٢٥. وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ﴾ ص ٤٥، وقال جل جلاله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ ص ٤٤، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ آل عمران ٣٣، ولم تكن حقيقة من تلك الحقائق تستحق شيئاً من ذلك.

اقتضت حكمته سبحانه أن يكون ذا الفضل العظيم، والله يحفظ لكل رتبة من الوجود مكانتها التى بها تكون مقهورة مربوبة، أبدعت بعد العدم وأوجدت بعد أن لم تكن.

ومن عوالمه عُمار ما فوق العرش، وهم الآلهون لعظمته تعبداً وذلاً، وما دونهم من عوالم الروحانيات العاليات من الكروبيين الذين هم فى عظيم الكرب رهبة وخشية من جلاله

وعزته، وما دون ذلك من الحافين حول العرش المسبحين بحمده المستغفرين للمؤمنين، وغيرهم من الملائكة عُمار سمواته من السفرة البررة، ومن المستنسخين لكتابة قدره، والقائمين بتبليغ رسالته والحفظة الكرام، وغيرهم من السائحين فى الأجواء والقائمين على الأرجاء، وغير ذلك من الأفلاك المنتشرة بسفاح السماء التى أظهر الله بها عجائب حكمته وغرائب إتقان صنعه من ثابتات وسيارات، وليس فيها ثابت إلا بالنسبة لنظر العين وكلها سيارات تسمى بالثابتة، منها ما سيره بطىء جداً وقد يقطع دورته فى مئات من السنين، وغير ذلك مما هو بين السماء والأرض، وليس بين السماء والأرض فضاء، ما من نقطة من نقاط هذا الجو البسيط إلا وفيها من الحقائق المختلفة والأنواع المتباينة ما يحير العقول، من جرم الأرض وما عليها وفيها، مما لو كشفت حقيقة ذرة منها ونطقت بلسان حالها مبينة مظهرها وحكمة إيجادها وارتباطها بها؛ لعجز العقل الكامل عن أن يحيط بما فيها، فسبحان من لا يعلم قدره غيره.

خلق الله الأرواح العاليات جواهر نورانية وأجساماً روحانية ظاهرة جلية، وخلق أسفل سافلين من كثافة ومادة ظلمانية، ورفع العالم العلوى بصفاء جوهره وطهره من التضاد وسلامته من مقتضيات العناصر، فهو صفاء بالفطرة ونور بالحقيقة، وهو مقهور لقهار مربوب لرب، فقهره وهو القهار بأن أظهر له بأنه لا فرق بينه وبين أسفل سافلين، بالنسبة للقهار القادر، وأنه جل جلاله هو الفاعل المختار لا يُسئل عما يفعل ، فله المجد والكبرياء والنزاهة والطهر والقداسة، يقرب ما شاء ـ لا لأن الذى قربه يستحق القرب ـ ويرفع ما شاء فضلاً وإحساناً.

ولما كان القاهر اسماً من أسمائه الحسنى ـ وأسماؤه كلها حسنى ـ قهر العالم الأعلى قهراً هو عين الإحسان إليه ليحفظ الله له مكانته التى بها يدوم قربه من الله، وتدوم سلامته من البُعد والقطيعة واللعن، فالقهر فى الحقيقة إحسان، لأن القهار اسم من أسمائه الحسنى، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة٣٠، وقالوا الملائكة الذين هم من أصفى الجواهر، لوقوفهم عند معرفتهم التى نالوها بقدر مكانتهم من مراتب الوجود لا بقدر الإطلاق الربانى: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ البقرة٣٠.

فكانت تلك نزعة من نزوع النفس الملكية التى علمت من نفسها بتلك الخصوصية بالنسبة لمجانستها للطهارة والصفاء من كدورات المادة ولوازمها، فأثبتت جهلها أمام ربها بعد بيان الحكمة بقولها: ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ البقرة ٣٢، وقامت الحجة لله تعالى أنه إنما ينفذ ما قدره بحكمه وعلمه بقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة ٣٠.

ثم قهرهم قهراً ثانياً بأن جعل آدم أستاذاً لهم ومرشداً، ليزيدهم علماً وليلزمهم الأدب، مع صفاء جوهرهم للجناب المقدس، فآدم يعنى الإنسان والكنز الجامع لأنواع الجواهر من أعلى عليين لأسفل سافلين، وقد زاده الله على كل حقائق العالم بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ الحجر ٢٩، فالإنسان مخلوق باليدين ففيه كل الحقائق، وهى الحجة التى أقامها الله على إبليس فلعنه وطرده، فقهر الله من قهر بالإحسان، وقهر من قهر بالانتقام، وكل الأسماء الإلهية تفيض الخير والإحسان وتفيض القهر والجلال، ومن تفضل الله عليه بالإحسان والنعم فى الدنيا ولم يشكر نعمة الله عليه كانت عليه عذاباً ونقمة يوم القيامة، فآدم هو دُرة العقد بل وهو من طين لازب، كمل الله به عوالم عالين، وطرد الله به أهل الشقاء من النفوس الشريرة.

والحجر الأسعد رمز للناس كرمز آدم للملائكة، ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ـ وهو من طين ـ ليقهرها ليدوم لها القرب من الله والحظوة لديه، أمر الناس بحج البيت، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسجد بوجوهنا على الحجر الأسعد ليقهرنا سبحانه وتعالى حفظاً لمكانتنا العبدية، لتعظيم أمره بالطواف حول الكعبة ولثم الحجر الأسعد ـ وهو حجر ـ ومن خالف الأمر لعن وطرد، ومن أطاع الأمر رُفع، وهو القهار المحسن بقهره إلى من سبقت لهم الحسنى، وهو هو الموفق لمن أحبه، والمقدر البُعد على من لم تسبق لهم الحسنى، وله الحُجة البالغة على خلقه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ الأنبياء ٢ و٣، وفى الإشارة بيان لمن كان له قلب أو ألقى السمع هو شهيد.

آدم وحواء وإبليس

يقول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ فاطر ١٠، فكيف رفع إبليس إلى الجنة ودخلها؟ ظن بعضهم أن جنة آدم كانت بستاناً فى الهند، وليس الأمر على ما أولوا ، وأن المكان المقدس لا يدخله إلا الطهر حقاً، فكيف دخل إبليس الجنة؟!

هذا مُسَلم به، لأن دخول المكان المقدس على سبيل الكرامة والإقامة مستحيل إلا على أهل هذا المكان، ولكن الأماكن قد يدخلها الشرط(الجند) للابتلاء، فإبليس ابتلاه الله وابتلى آدم فدخل الجنة لا للتكرمة والإقامة ولكن للابتلاء، وهى جنة الخلد التى فوق السماوات.

أما آدم فلم يعلم أنها جنة الخُلد، لأنه لو علم وأكل من الشجرة رغبة فى الخُلد بدلالة عدوه لكان كافراً لأنه لم يصدق ربه. ولكن آدم أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها بأمر إبليس وهو لا يعلم أنها جنة الخُلد لأنه سمع ربه يقول: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ البقرة ٣٥، ولو أكل عالماً لقال الله تعالى: وكفر، ولكنه قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ طه ١٢١، والمعصية هنا حقيقة، وإن جهل من جهل نفسه فتأول ما لا يليق به أن يتأوله، وويحهم، يقول الله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ لأنه خالف وأكل من الشجرة، وأخبرنا الله فى القرآن أنه قال له ولإبليس : ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا﴾ طه ١٢٣، ثم قال: ﴿جَمِيعًا﴾ وهم يتأولون قول الله الظاهر.

وقد قدر الله معصية آدم ومعصية إبليس ليظهر كمال إطلاقه فى قدره وتدارك لطفه بمن سبقت له عنايته، ليكون للمسلم مندوحة إذا وقع فى معصية أن يتوب إليه. وقد علمت الملائكة من قبل أن آدم ليس من أهل الجنة، ولا تكون له دار إقامة إلا بعد أن يتولى ما أخبر الله به من قوله: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة ٣٠، وتأويل من أول بأن آدم لم يعص سوء أدب مع الله تعالى، ونظر إلى الحقائق بعين كليلة لأن الله لعن إبليس وطرده لمعصيته، وذلك أنه سبحانه علم منه سوء القصد وإرادة الشر، وعلم من آدم حسن القصد وإرادة الخير وهى العناية التى سبقت له، فقدر المعصية وتداركه الله باللطف، فهى معصية جازاه الله عليها بالإهباط إلى الأرض، ولم يذكر حواء فى ذكر المعصية لأنها تابعة له فى الأكل، والحكم

على أحد المتساويين حكم عليهما.

والشجرة أشار الله إليها بقوله: ﴿هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ البقرة ٣٥، ثم أشار إليها عند إتيان معصية آدم بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ الأعراف ٢٢، فالإشارة الأولى تعين أن الشجرة كانت مشهودة لآدم، والثانية تعين أنها كانت بعيدة عنه، لأنه حجب عن شهود تلك الحقائق لارتكابه المعصية.

وما ورد عن بعض أهل المعرفة من أن معصية آدم كانت صورية فهذا مشهد روحانى، مأخذه مشاهد التوحيد العالية، لا يقتضى سوء الأدب مع الشريعة المطهرة. وإذا كنا نتأول أخبار الله الصريحة احتراماً لذى مقام عال فنقول: إن آدم لم يعص، والله يقول: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ﴾ طه ١٢١، ويقول: ﴿فَغَوَىٰ﴾ طه ١٢١، ثم أردف ذلك بقوله: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ طه ١٢٢، نكون أخطأنا، والأولىَّ أن نقف عند خبر الله تعالى، لأن آدم ومن بعده فى هذا الجناب العلى العظيم عبيد مقهورون، وعباد مربوبون لم يبلغوا درجة النزاهة والقداسة. والذى قدر المعصية قدر الاصطفاء، والله يمنحنا الأدب ويلهمنا الصواب فى القول والعمل.

وقد وهم بعض من اطلع على كلام المؤولين فى هذه الآيات، فظن أن هذا كلام السلف الصالح. والحقيقة أن الحديث الشريف الذى أخذ منه السلف الصالح يقتضى أن سيدنا موسى اعتقدها معصية، وأن آدم عليه السلام اعترف باعتقاده فى صريح حديث البخارى فى قوله عليه الصلاة والسلام: (حج آدم موسى) والحديث مشهور، وإنما تأول بعض العلماء هذه المعصية بأنها صورية لأن الجنة ليست دار تكليف. ونعم، فإن الرب العلى المطلق لم يكلف أهل الجنة إذا دخلوها بعد، ولكنه سبحانه خلق آدم ليكون خليفة فى الأرض، وأدخله الجنة لحِكَم لا تُحصى، منها أنه يريه نعيمها ومسراتها قبل إقامته خليفة فى الأرض، ليشتد شوقه إلى الجنة وليسارع إلى ما يوصله إليها من دوام المجاهدة لنفسه وحظه وهواه، رعاية لحقوق الله تعالى وحقوق نفسه وحقوق العباد، فأسكنه الجنة ليبتليه بهذا المشهد، ثم ابتلاه بإبليس ليوقعه فى المعصية وليتوب عليه سبحانه، حتى لا يحصل له اليأس والقنوط إذا عصى الله فى دار الابتلاء، فيقبل على الله تائباً موقناً بالقبول.

تقرر من هذا أن آدم لم يدخل الجنة للكرامة والإقامة، ولكنه دخل لحكمة بالغة بينت لك بعضها، وإذا منحك الله وجود الشهود أُلهمت أسرار هذا الإسكان فى الجنة وغيب هذا الابتلاء، وتراه فى نفسك إذا بلغت مقام الرضا إن شاء الله تعالى، وعلمت سر خلق إبليس وسر تسليطه على الإنسان، وغريب تصريفه وقدرته على أن يشاركهم فى الأموال والأولاد، وسر بقائه لليوم المعلوم، وفى تلك الحقائق من الأسرار ما يقف عندها العقل خاسئاً وحسيراً، والتسليم سلامة والذوق عناية.

مضنون فى آدم

أجْلى فيك ما به التعريف لو فقهت، ومنحك نوراً به التعرف لو علمت، كما منحك أن تراه فيك وفى الآفاق بما اقتضته أسماؤه من الأخلاق، فكنت مظهراً لظهوره، أمرك لتظهر مقتضى حكمة إيجادك وهى ظهور عبوديتك، ووفقك لتكون خليفة عنه فى المُلك الصغير وسيداً وجيهاً مُتصرفاً فى المُلك الكبير، فأظهر صفاتك للعالم بك فيك، وأعد لك فيك وفى الآفاق من المشاهد العلية ما لا تبلغ ذوقه الكروبيون، وأن تدرك منه سبحانه ما ذقته فيك وفى الآفاق، وما فوق ذلك من الكمال مما تذوقه فى شىء من غيره فذلك ما لا تدرك، لأنك لم تذقه والذوق فوق العلم، ولن يدركه أحد من العالمين، فإننا إنما ندرك منه سبحانه ما هو فينا مما لم ينله أحد من العالمين سوانا.

والسعادة والشرف الذى حصل لنا هو به سبحانه ليس بنا ذاتياً، وما ليس لنا ذاتياً يقتضى الشكر، ومن جهل فغره أنه مخلوق باليدين، وأنه مظهر وظهور لتظهر صفات الربوبية، ونسى أنه مظهر أيضاً لظهور صفات العبودية حُرم ذلك المُلك الكبير، ورُدَ إلى أسفل سافلين السعير، فتفضله بالإيجاد موجب لشكره، وإحسانه إلينا بخلقه لنا بيديه ونفخه فينا من روحه وإقامتنا للخلافة عنه سبحانه، موجب لعبادته ودوام الرهبة منه والخشية.

المُلك الكبير المعبر عنه بالجنة

الجنة معلومة لغة وشرعاً، بَيَنها القرآن المجيد، ولا خلاف بين المسلمين فى الجنة، وإن اختلف بعض من لا ذوق لهم فى أنها هل هى موجودة وأين مكانها؟ وهذا الخلاف مردود على أهله، لأن القرآن أثبت وجودها وأثبت أنها فى عليين وأن النار فى سجين، بدليل: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ المطففين ١٨، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ المطففين ٢٢و٢٣، وقال سبحانه: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ المطففين ٧، ثم قال: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ الانفطار ١٤، وقد عينت السُنة مكان الجنة فى حديث الإسراء والمعراج، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾ النجم ١٣حتى ١٥.

والجنة جنتان، قال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ الرحمن ٤٦، والجنتان: عاجلة وهى لأهل مقام الإحسان، وآجلة وهى لهم ولأهل مقام الإيمان الذين فارقوا الدنيا على الإسلام، فالجنة العاجلة هى جنة الرضا عن الله تعالى، وهى جنة الشهود وطمأنينة القلب بذكر الله تعالى عند كل شأن من الشؤون، والكون كله جنة لأهل الرضا، وهم الذين تنقلب لهم الحقائق لأنهم عند ربهم، قال تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الأنبياء ٦٩، وقال: ﴿أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الشعراء ٦٣.

وما تقول أيها المشتاق إلى الجنة العاجلة فى قوم عند ربهم لهم ما يشاءون؟! أو تقول فى قوم أعانهم الله تعالى، فجاهدوا فهداهم سبله فرفعهم إلى مقام القرب حيث قوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ البقرة ١١٥ ؟! فمن جعل الله لهم المشيئة منحهم المُلك الكبير، ومن جاهدوا فهداهم سبله تفضل عليهم بالنعيم.

فالجنة العاجلة جنة الأرواح التى تجردت من مقتضيات عناصرها ففرت إلى الله بجاذبة عنايته، وجنة النعيم المقيم لمن خضعوا لسلطان الشريعة فكانت الدنيا سجناً لهم ـ وإن صرفهم الله فيها أكمل التصريف فى الكون ـ لأنهم تحت سلطان الشريعة فى تصرفاتهم.

ألق أذن روحك

الجنة تستر من دخلها فلا يرى ما هو خارجها ولا يراه من هو خارجها، وهى سر الأخذة الحقية قبل الاصطناع، ومن أخذه الله عنده ضن به على خلقه فكان من ضنائن الله تعالى، فلا يرى إلا الوجه حيث ولىَّ وجهه، ولا يراه أحد.

يعرف بها حقيقة ما لديه من الله تعالى، وهم أهل الجنة العاجلة، وهؤلاء لا يحتاجون إلى جنة آجلة، وفى بعض الآثار أنهم يفرون من الجنة ويقولون: تركناها أحوج ما نكون إليها فى الدنيا، فكيف نطلبها ونحن فى غنى بالمحبوب عنها.

الجنة ظهور ظل معانى الصفات مستغرقة لكل المرآة، والمأخوذ اقتطعه الله فى وجود شهوده، وستر شهود وجوده، وهؤلاء كثير فى كل قرن، فمنهم الهائم على وجهه فى القفار، ومنهم المستتر عن الخلق بالملامتية والابتذال، ومنهم الغائب عن المُلك سياحة فى الملكوت، ومنهم العاكف بقلبه على ربه معتزلاً الناس بعد فقد خياله ووهمه، فإن الخلوة لا يأذن بها المرشد لذى خيال أو وهم، ولبس خرقة الملامتية لا يأمر به المرشد إلا لمن حصنه الله تعالى بالآداب الشرعية، ومنهم المخمور الذى لا يفيق ومنهم ومنهم، وقد فصلت مُجمل هذا فيما سبق من الكتب، وكل هؤلاء فى الجنة، يعنى فى الستر.

وفوق ذلك جنة ـ خذ بأُذن السر ـ أفراد أبدال الرسل الذين هم عشرة رجال أو خمسة أو سبعة هم جنة عالية، وهم الشجر الذى غرسه الحق بيده، وهم المعنيون بسبعين ألف حجاب من النور، ستروا عن العقول والأوهام والخيالات بساطعة وميض الأحدية، أو رذاذ غيث الواحدية، أو نور زيت المشكاة المحمدى، قال سبحانه: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ آل عمران ١٦٣.

وهناك جنة أعلى لا تفى بها الإشارة ولا تبينها العبارة، وهى تؤخذ بشذرات يبيح بها أهل الاتحاد فى مقام القهر الوجودى بعد الجذب الفنائى، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء ١٣٣.

جنة آدم

بينت لك أنواع الجنان، والجنة الآجلة ثمان درجات ومفاتيحها جوارحك المجترحة – القلب وجنوده – ولما كان آدم هو المخلوق الذى تجلى فيه الحق لخلقه كما ورد، أدخله فى الجنة التى فيها مسرات الحس ونعيم الجسم، وغذاء الروح من الحكمة ومحبة الله تعالى، ليشتاق إليها بعد رده – وتلك الجنة هى طبقة من الفردوس – بدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ التين ٥، ومعلوم أن الجنة لا تقع فيها المعصية، فقدر الله المعصية على آدم فى الجنة ليرده عنها عدلاً بعد أن أدخله فضلاً، وليعلمه أنه أخرجه منها بذنب فكيف يدخل فيها من عصاه فى الدنيا؟! وليشجع خلقه على التوبة عند وقوع المعصية.

وقد بينت لك أن الله غرس الإنسان بيده فى جنة عدنه، فالإنسان شجرة ربه، وهو السدرة التى رأسها مغروس فى العرش وأطرافها مدلاة على الجنة، وتلك الشجرة التى هى صورة الحق لها ثمر هو جمالها الذى يجب أن يُحفظ لزارعها سبحانه، فإذا تجاوز الإنسان حد العبودية وتناول ما هو خاص بربه، عصى وغوى لحكمة بينت لك بعضها، فَرُدَ إلى الأرض ليرتقى إلى مقامات القرب وليتجمل بجمال الخلافة، فيكون مرآة لظهور معانى صفات ربه، وحقيقة هى مظهر لظهور صفات نفسه وهى العبودية، واسمع وسلم إن لم تذق، فإن من حرم التسليم والذوق حرم الخير كله.

أودع الله أمانته فى آدم فنسى آدم ونسب لنفسه ما ليس له، فكان ما كان من ظهور سوءته ومن شدة وجله، والله غالب على أمره، قال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء٣٥، وإن ما أكل آدم ما فيه من أمانة باريه، منحنا الله الذوق وجملنا بالشوق وحفظنا من الإنكار، إنه مجيب الدعاء.

القرآن

القرآن المجيد مورد آل العزائم الروى، وروضهم الجنى وحوضهم المورود، وكوثرهم المشهود وميزان أحوالهم ومرجع مقاماتهم، يسألونه قبل العمل، فإن أذن سارعوا، وإن منع تركوا واستغفروا، فهو الإمام الناطق وإن صمت، لأنهم يسمعونه عن رسول الله ﷺ فتسمعه آذان قلوبهم حضوراً ووجوداً، وإن كان التالى له إنساناً آخر.

وقفت بهم همتهم العلية على القرآن فأحلوا حلاله وحرموا حرامه، لو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها، أو مفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها فرحين بالسمع والطاعة، تجلت لهم حقائق القرآن جلية، وانبلجت لهم أنواره العلية ظاهرة، فلم تبق بهم همة إلا فى القرآن ولا رغبة إلا فيه.

أحبوا القرآن حباً ينبىء عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه، كاشفهم الله تعالى بمراده فى كلامه، وبحكمته فى أحكامه، فكان سبحانه وتعالى أقرب إليهم من أنفسهم، وتجلى لهم سبحانه فى كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم إذا سُئل: لم تعمل هذا؟ يقول: أمرنى القرآن، ولم تترك هذا؟ يقول: نهانى القرآن، وإذا طُلب منه أمر، يقول: مهٍ حتى أستشير القرآن. فيقرأ القرآن المرة والمرتين، حتى تتضح له حقيقة حاله وسر قصده، فيسارع إلى التنفيذ أو إلى الترك.

فالقرآن طهور الحب وحلل القرب، ولا يوفق للعمل بالقرآن إلا من جذبته العناية واقتطعته المشيئة واختطفته محبة الله السابقة له.

واعلم أنه لا يجد فهم القرآن عبد فيه أدنى بدعة أو مُصِر على ذنب أو فى قلبه كِبر أو مُقارف لهوى قد استكن فى قلبه، أو محب للدنيا أو عبد غير متحقق بالإيمان ولا من هو واقف عند مبناه غافل عن معناه، ولا ناظر إلى قول مفسر ساكن إلى علمه الظاهر ولا راجع إلى معقوله. فهؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون إلى ما يقرر فى علومهم موقوفون مع ما تقرر فى عقولهم.

أما العبد الذى يجد حلاوة القرآن، ويكاشف بمشاهدته فهو من قرأ مُلقياً السمع بين يدى سميعه، مُصغياً إلى سر كلامه، شهيد القلب لمعانى صفات شهيده، ناظراً إلى قدرته تاركاً لمعقوله، متبرئاً من حوله وقوته مُعظماً للمتكلم، واقفاً على حدوده مفتقراً إلى الفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين، سمع فصل الخطاب وشهد علم غيب الجواب.

قبس من المضنون فى القرآن

رتل القرآن فى الاتحاد، واتل كتاب ربك فى الاصطناع، واصغ بأُذن روحك لقراءة القرآن من مُنزله، ثم اتبع قرآنه ترتيلاً ولا تعجل، فإنك فى مقام بقاء بعد الفناء، فالترتيل للقرآن شهود معانى صفات المتكلم فى كلامه، وانبلاج أنوار حقائق الغيب المصون من الأسماء والصفات، والغيب المضنون من مجلى الذات.

وإنما يُرتل القرآن ويتلو الكتاب ويقرأ القرآن السامع له من المُتكلم سبحانه، فالقرآن إشارة إلى الكمال الذاتى، وسورة الإخلاص ثلث القرآن وآية الكرسى ربع القرآن لبيانها للغيب المصون. والكتاب المرتل أحكام وحكم. والذكر أخبار وعبر. والنور تبيان للوصول، والفرقان بيان للحُجة واتضاح للمحجة. وإنما يُرتل القرآن من مُنح العيان بعد البيان.

الأبدال والصديقون

شهود الوجود بعد وجود الشهود تلوين. ومحو وجود الشهود تسليماً للقرآن تمكين، واتباع الحبيب فى التمكين برهان محبة الله للمتمكن الآواه المُنيب، ومتى أحب الله العبد اقتطعه أو اصطنعه أو اختطفه فاصطفاه، فجمله بجمال ظهور العبد وظهور الرب سبحانه، فيكون مُحباً لله لأنه طُلبة الله، ويكون محبوباً لله لأنه صورة استجلاء معانى صفاته العلية، وهذا هو الفرد

الأكمل والإنسان الكلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ويفوز بقسط من ميراثه الصديقون الذين ضن الله بهم عن أن يَشهد غيرهم جَلِية ما نالوا من عنده وما حظوا به من لدنه، وهم سُرج الدنيا ومصابيح الآخرة والأنجم المضيئة فى ظلمات الشبه، وقليل ما هم، يُظهر الله منهم من يُظهر، ومع إظهاره فهو لدنه أوعنده، ويخفى الله من يخفى، ومع إخفاءه فهو يمشى بما يجعل الله له من النور فى الناس، ومن ظفر بالخفى منهم مُسَلِماً صار بنفسه عالماً، ومن ظفر بمن أظهره الله صار عالماً بالله، وهو فرد من الأفراد الذين عند ربك، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ الحج ٧٥، وهؤلاء هم الذين انطوت النبوة بين جوانبهم، إلا أنهم لا يوحى إليهم، أعاننا الله على شكره وأقامنا عُمالاً له بالإخلاص متمتعين بالحضور فى ذكره.

الأمانة

الأمانة وما أدراك ما الأمانة، غيب مكنون على الروح به مضنون، أشفقت السموات والأرض أن يحملنها خوفاً من التكليف، وقد فازت بالتعريف، وخشية من الظهور فى البطون، ومن البطون فى الظهور.

الأمانة هو ما حملته أمانة لديك، ليس منك ولا فيك ولكنه منه جل جلاله، والذى يصل إليه يفوز بالحظوة لديه، ولأجله أُمرت بالرياضات وكُلفت بالمجاهدات، فيحصل لك التوجه الذى به تواجه.

إذا أمكنك أن تدفع الواردات عن القلب بذكر اللسان فى منزلة الإنسان، وأمكنك أن تذكر بالقلب مع إمساك اللسان، وأمكنك أن تذكر بالقلب واللسان حضوراً وغياباً، لديها يظهر لك خافيك، وتقع العين على العين بلا بين.

أحب ما فيك منه فهو المحبوب جل جلاله له لا أنت. وأحببه بما فيك منه، إذا تجردت من مقتضيات عناصرك، بالأمانة كلفت وعرفت، وهى الثواب والعقاب إذا راق الشراب، وكشف الحجاب عن بديع جمال الجناب.

محل الأمانة هو القلب الذى هو عرش الرحمن، لا الشكل الصنوبرى المُقلب فى الأكوان. حملها الإنسان فكان ظلوماً جهولاً حتى يحملها، فكُن محمولاً لا حاملاً وإشراقاً لا مَشرِقاً، يصفو اللطيف من الكثيف ويحمل اللطيف بنوره هذا الكثيف، فيكون الإنسان الكامل وهو فى سافل المكان فى أعلى مكان، يرى بما فيه من الأمانة وجه الله حيث ولى، ويلحظ بسره غيب القدس الأعلى حيث صلى. إذا لمع وميضها أخفى السور والرسم ومحا الوسم، وألبس المحمول تاج الخلافة عن ربه، وساح فى ملكوته الأعلى فأشرف على قدس عزته وجبروته.

الأمانة وما أدراك ما الأمانة، نور معانى الصفات فى مرآة صُقلت بالمواجهة وجُملت بالمنازلة، فظهر الغيب المصون وخفى المشهود بالعيون.

بالأمانة القرب والحب، إذا وفىَّ فصفا حاملها، والوفا الاتباع مجاهدة، والصفا الاصطلام مواجهة، وهما واحد وإن كانا اثنين، إذا زال الرين وأشرقت أنوار العين على العين، وانكشفت حقائق الأشياء بحقيقة الاستجلاء.

هى الأمانةُ أوصافٌ وأخلاقُ ... بها الحنينُ إذا ما لاح إشراقُ
إشراقُها حضرةُ المحبوبِ يُظهرها ... فيشْهدُ الغيبَ أفرادٌ وعشاقُ
هى الأمانة فوق العالمين عُلا ... يُجلِي غوامضَها فى القربِ خَلاَّقُ
الرُّوحُ ظِلٌ لها تُبدى محاسنها ... بها يصح الصَفَا والوصلُ إغراقُ
أنوارها أصعقت أهلَ الصَفَا جَذَبَت ... أهل الفَنَا ولهم فى الحبِّ إشفاقُ
قد أسجدت لأبى الإنسان عالمه ... غيبٌ فلم تَرَها روحٌ وأحداقُ

العلـم

العلم الإلهى مبدؤه رعاية ما حصلته من العلوم، ووسطه شهود الأشياء قامت بالحى القيوم، حتى تشرق أنوار وجه الله فتحجب كون العارف حتى يراه. ونهايته إشراق نور الحكمة جلية مستبينة بها حقيقة الأشياء، فيكون العبد عبداً مقهوراً بقهار، مربوباً لرب غفار، مشاهداً لأنوار قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦، وهذه مراتب العلم الإلهى، ثم الذوق فالكشف فالشهود فالفناء عنه ثم الفناء عن الفناء، ولديها يكون العبد ربانياً يسمع بالله ويبصر بالله.

المتمكن يتلقى من الرب بالقلب، لأن التمكين نور الله الذى يجعله فى قلوب أهل محبته، وهذا القلب هو النور الذى تستبين به الحقائق، سر قوله ﷺ: (واجعلنى كلى نوراً).

ولما كان هذا القلب متعلقاً بالملأ الأعلى، فإن كل ما يرد عليه بين وارد ملكوتى أو وارد رحمانى، وقلبه هو الحاكم عليه حتى ولو خالف حكمه حكم الوقت (استفتَ قلبَك ولو أفتاك وأفتوك المفتون).

بين العلم والرعاية كما بين الغذاء ومستعمله، فقد يوجد العلم وليس محله قابلاً، وقد يوجد القابل ولا علم، ومتى وُجِد العلم والقابل كان محله عَالِماً، وهو صفة الله تعالى، وما أظل القدس بظله عبداً إلا وأخفاه عن نار بشريته وشَرار إبليسيته وبرد جماديته ومقتضى نباتيته، إلا ما لابد منه مما به حفظ الرتبة العبدية الحقة أمام مكانة الرب ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ الرحمن ٤٦، ومن كان فى الجنة لا تميل به الشؤون مهما اقتضاها مكانه الحيوانى أو مقامه الإنسانى، لاختطافه بيد العناية مع انغماسه فى كل ذلك، ونظره إلى الأسباب موجبة قائمة بعينى رأسه، واختفائها عن عيون بصيرته بسطوع أنوار المُسبب جل جلاله، هذا فى حضرة القلب.

وإذا كان القلب برزخاً بين الروح والفؤاد كان الإنسان مشكاة تلك الأنوار مثالاً وحقيقتها نيابة، ونورها فيضاً قدسياً للعالم أجمع، وهو فى نظره صلصال من طين أو ماء مهين، لا يراه من رآه إلا إذا سمع خبره وذكراه ممن رآه حقاً.

العَالِـم

* العَالِمِ ثلاثة: ربانى تكشف له حكم الأحكام، ونورانى تكشف له معانى الأسماء والصفات، وذاتى مؤله ممحوق دون فناء كمالات الذات. فالربانى بين الحكمة عن عيانها، والنوارنى بين أسرار التجلى عن عيانها، والذاتى يحرق القلوب بالشوق إلى الله عن غيب مصون لا يُلحظ. لهذا أشهد خير رسله عن عيان، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الأنعام ٧٥، عند شهادته للخلق، وكذلك: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الإسراء ١، ليكون ما يخبر به عباد الله خبراً عن عيان. وورثة رسل الله ما كان حق يقين للرسول هو عين يقين لهم، وما كان عين يقين للرسول علم يقين لهم، وما كان علم يقين للرسول ﷺ تسليماً منهم له وإيماناً بالغيب.

الإيمان

* يقين عن تسليم يباشر القلب فيتسع له تجويفه، حتى يمتلئ اعتقاداً بما ورد به القرآن الكريم وقررته السُنة المحمدية من عقائد تزيل الشرك والشك، ويطمئن به طمأنينة تبعث من كمال يقينه انشراحاً يعم كل الأعضاء، فيكون المؤمن على بينة من ربه، ويقوى هذا الانشراح بقوة الإيمان، فتلين جميع الأعضاء للقيام بحسب الاستطاعة عن توفيق الموفق سبحانه بجميع الأوامر الشرعية بسرور ولذة وحبور، لا يشوب ذلك مهل ولا تهاون، وعلامة الإيمان اشتغال العبد بعيوب نفسه، ودوام مراقبتها فى سرها وعلنها، حتى لا يهم إلا بما هو لله سبحانه خالصاً.

* متى ارتسمت صورة الإيمان بمعانى المؤمن به على جوهر النفس حصل اليقين بلا لبس، وليس بعد العيان بيان، ومن رسم صور حظوظه وشهواته على جوهر نفسه تسلى بما يفنى وأنس بما يزول، وحصلت له الوحشة من الحق والأُنس بالخلق، ولديها يكشف الله ستره عنه فيبغضه الحق والخلق.

* لا إيمان إلا بعد الانتشال من وحلة التوحيد وبادية الإلحاد.

* المؤمن لا يغيب عنه رسول الله ﷺ إن لم يكن عياناً فبياناً.

* إذا باشر نور الإيمان سويداء القلب اطمأن القلب إليه، لأنه تهش إليه النفس وتبش.

* أهل القلوب فى شغل بعلام الغيوب عن العيوب، فكيف يشتغلون بالجيوب؟!

* المؤمن العبد مرآة المؤمن الحق.

* علم الإيمان ينتج شهود الملكوت، وعلم الإيقان يشرف بصاحبه على قدس العزة والجبروت.

للطيف الخبير أرفعُ أمْرِى وبه فى الوجودِ يرفع قَدرى
كيف يرَجُو عبد من العبد عوناً والكريُم الحليمُ عَوْنِى وذُخْرِى
وَيقِينى بالله أضحىَّ قوياً بفؤادى وظاهرى وبسرى

بين مشاهد أهل الإيمان ومشاهد أهل اليقين الحق، كما بين الكادح فى الكون والمؤانس بالمُكَوِن، فأهل الإيمان لهم السياحة فى ملكوته، وأهل اليقين لهم الإشراف على قدس عزته وجبروته، قَرُبَ منهم بنعموته، وقربهم إليه بما جملهم به من كمال العبودية لعزته وجبروته، والعبودة فوق الرسالة قدراً، فإن العبد مقبل بالكلية على الرب، والرسول مقبل بالكلية على الخلق، ولذلك فإنك تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) فتبدأ بالعبودة قبل الرسالة لشرفها ومكانتها العلية، وإنما أعنى بالعبودة عبودة الرُسُل لا عبودة الأولياء والأنبياء، وكذلك العبودة فى مقام الولاية فوق الدعوة إلى الله سر قوله سبحانه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ الإسراء ١،

التوحيد

* التوحيد ثلاثة: توحيد الله الله، توحيد الناس الله بالله، توحيد الناس الله بأنفسهم، وهذا هو الشرك الخفى.

* التوحيد محو غير الواحد مع قيام الثانى بالقيومية، مسارعاً إلى ما يحبه الواحد، وإن حرم الثانى ما يحبه.

* التوحيد أوله تسليم، ووسطه اتحاد بالعليم، وآخره قيام بالقيومية على النهج القويم.

مشهد التوحيد خفى على أهل العقول، ونوره جلى لأهل الوصول، وليس من ارتاب بأدلة العقول أهلاً لأن يذوق حلاوة التوحيد، ولا من بحث عن الواحد بالدليل محلاً لشهود جمال الجميل، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ النساء ٦٥.

* لا يبلغ السالك مرتبة الوفا إلا بكمال التسليم، فكيف ينال مقام الصفا وهو يرغب فى دار النعيم؟!

* منازعة العقول لكوكب الإيمان أفول، ونزوع النفوس بُعْد عن حضرة القدوس.

* السُكْر فى التوحيد نجاة، والصحو مع كشف علوم التوحيد هلاك. وقد نجا بهلول وأبو يزيد مع استغراقهما بسُكْرهما، وإنما أضر الحلاج صحوه، فاحفظ الأدب فى الصحو واحذر أن تبين كل البيان فإن ذلك حرمان، وكشف سر الربوبية كفر، فإذا اختطفك منك فقطعك له فكن كيف شئت، وإياك والتقليد.

* شتان بين من يعامل الله بالعبودية، و بين من يعرف الله بالوحدانية.

* من شهد بعين الأزلية محا الأبدية فشهد الواحد.

* من نظر إلى القدرة وغفل عن الحكمة فلم ير عبداً فهو غاو. ومن نظر إلى الحكمة

وغفل عن القدرة ولم يذق حلاوة التوحيد فهو مشرك.

* الغيب عنك فيك رفرف مراقيك، والغيب عنك فى الآفاق بُراق الالتحاق. والغيب عنك فيه نور الاتحاد والانتشال من وحلة البعاد، وإن ما تشهده عيونه المفاضة من قدسه إذا ظللك بظلال قدسه.

* ما بينك وبين الكمال الذى تكون فيه ليس لك رب إلا الله؛ إلا أن تنظر نظرة فى نفسك وفيما حولك، أو تسوح بنفسك الطاهرة فى ملكوت السموات والأرض، وهى لمحة بها تقع الصلحة، فكيف تبخل على نفسك بما به دوام أنسك؟!

* ليس بين الجنة والنار إلا نظرة بعين السر تستبين بها الحقائق، وتظهر بها غوامض الآيات للأعين جليات.

* ليس بين أن تراك وبين أن ترى وجه ربك محيطاً بك إلا تنزل بالرعاية أو حضور بالفكرة أو نظرة بالعبرة، لتعرف من أنت، فإذا تحققت بمعرفة من أنت تجلت لك آياته فيك وفى الآفاق، فجذبتك إلى طهور الشراب، فسكرت فطبت فغبت عنك به فكنت له حقاً، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا﴾ مريم ٩، وكان لك شهوداً وبالتنزيه معك، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ البقرة ٢٥٧، وقال: ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ التوبة ١٢٩، وقال تعالى ناطقاً على ألسنة أوليائه: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ آل عمران ١٧٣، فهو وليك ووكيلك وحسبك، فمن إذاً لك غيره؟!

النَفْس

هى اللطيفة النورانية الجوهرة الربانية والحقيقة التى لا تدرك بحس ولا لعقل، بل ولا لها إلا بخواصها، وإنما تُرى وتُعلم بقدر الرائى والعالم بها لا بقدرها، والعجز عن إدراكها بحقيقتها وكنهها وهويتها برهان ناصع على عجز أكمل كائن عن إدراك ساطعة نور من أنوار الأسماء، فكيف تُدرك الهوية فى غيب غيبها وظلمة عمائها! ومن عرف نفسه عرف ربه،

وفـوق ذلك من الأسرار الخفية مـا لا يُشـار إليه ولا يُبـاح بـالعبـارة، إذ نهـاية العبـارة علم التوحيد وعلم ما فى المـادة من الخواص والآيات، فالإشـارة بعد ذلك، فالإمـساك للعجز عن البـيان بأى طريق من طـرقه، وإنما هى مواجهـات تصحبها ملاطفـات، ومؤانسـات تصحبها منازلات فوق الأرواح، إلا إذا اختطفهـا الفتاح، وهناك خواص النـفخة القدسية، وهى عن كل كائن علية.

النفوس المعروفة سبعة أنواع: جمادية فنباتية فحيوانية فإبليسية فملكوتية فقدسية فالنَفْس الكُلية، ولكل نوع مقاصـد وأحكام ومشاهد وملاذ وآلام، ولكل نفـس منها حكمة، والكامل فى الحقيقة من تفـضل الله عليه بالعلم بما لكل نفس وأعـانه على القيام به، حتى يتمتع بجمال الله فى كل كائـن بحسب كل نفـس. ومن فاته شهـود آياته فى كل كائـن، فاته من معـرفة الله بقدر مـا جهل، قال تعـالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾ آل عمران ١١٩، ولـيس بقدوة مـن قهرت نفس من النفوس عنده بقية الأنفس فجعلتها عاطلة، وإن أنس بمشهدٍ علىٍّ.

عقل وحس ونـفس

العقل له دائرة اخـتصاصية لا يتعداهـا. كما أن الحس كـذلك، والحس إذا أدرك مـدركاً لا يلبث أن يغيب، فإذا غاب زال؛ مـا لم يكن المُدرك قوياً فى التأثـير فإنه يبقى زمناً، والعقل إذا أدرك شـيئاً بقـى فيه. وهنـاك قوة تـدرك ما وراء المـادة، فالحـس يدرك المحسوسات، والعقل يدرك الخـواص فى الكائنات، أمـا معانى مـا فوق المادة فتـدركها النفس ‹الـروح الملكية› وهى التى تؤمن بالغيب ولو لم يساعدها العقل، وهى موجودة فى الهيكل بلا اتصال ولا انفصال.

إذا غلبت النفس البشرية صار الإنسان شيطاناً، وإذا غلبت الملكية صار الإنسان خليفة ربه.

لا تعجب إذا صارت النفس الملكية محجوبة عن عالمها فإنها ذلت لأظلم سلطان، وهى مُسخرة للإنسان، فقد يستعمل ما يوصل إلى الله للإفساد فى الأرض، وهو العلم بأحكام الله تعالى.

جُبلت النفوس على حب مُشاكِلِها مبنى ومضادها معنى، فهى تميل إلى مشاكلها مبنى بتلذذ الحس بمشهد التناسب الجمالى، وتميل إلى مضادها معنى ليمكنها أن تجذبه إليها بأحاديث ما فيها من الجمال الذى ليس فى الآخر، فترى الغنى يميل إلى الفقير، والعالم يميل إلى الجاهل، وهى صبغة الله تعالى التى صبغ بها الإنسان، فإن الله يحب من عباده من جمله بضد صفاته، وهو التواضع والذل والتسليم.

تزكية النَفْس

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس ٧ حتى ٩، طالبنا سبحانه بأن نزكى أنفسنا فيما منحنا التمكين منه بحسب ما بين لنا فى كتابه سبحانه، وفى سُنن نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وهو المكلف والمعرف سبحانه، والهادى المعين جل جلاله، ففى قوله: ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ تجب رعاية توفيقه وهدايته وعنايته، فلنا منه ما به تزكو نفوسنا، وعلينا السمع والطاعة لأمره، والمسارعة إلى القيام بأحكامه، مع رعاية مشاهد التوحيد وحقوق العبودة، فهذا التكليف شاق للسالك، وسهل ميسور للواصل، وأنس فى رياضة النفس وجهادها للتمكن.

فالسالك مكلف مجهود وعامل مكدود. والواصل متقرب إلى الله بتوفيقه فرح بفضل الله عليه ورحمته به. والمتمكن آنس فى مقام الإحسان بالمحسن مبتهج بالإحسان.

وهنا أفهمك أيها الأخ السالك إلى أن المراد ـ والله أعلم ـ فى قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ النجم ٣٢، لا تحكموا لها بالكمال الذى ينسيكم فطرها فتهملوا جهادها، فإن تزكية النفوس تلزم رعايتها لأهل المراتب العالية مهما بلغوا من الكمالات، فإن العبد عبد وإن علا، والرب رب وإن تنزل.

وتزكية النفس هى تطهيرها من كثافة الجمادية ووقوف النباتية ورعونات الحيوانية وسعير الإبليسية وتشبيه الملكية. فإن الإنسان الكامل وسط كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ

وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ البقرة ١٤٣، أى أشهدكم من غيب القدرة وأسرار الحكمة وجلى أنوار القيومية، وما أطلعكم عليه من أسرار الإيجاد والإمداد، وما واجهكم به من لوامع أنوار التجلى وسواطع أسرار التوحيد فى مقام التفريد من غيب " واحد" وغوامض غيوب التنزيه فى غيب غيب " أحد" ، فإن البشرية لا تفارق إنساناً ما كيف كان وأين كان حتى يفارق تلك الحياة الدنيا إلى الحياة الروحانية، معنى قوله ﷺ: (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأٓخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ العنكبوت ٦٤، وقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس ٢٦.

* إذا زكت النفس من اللبس ونظرت بعين القدس؛ وُجِهَت بالوجه العلى على بساط الأُنس، قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَـٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ الواقعة ٨٥.

هِىَ الروُّحُ تَصْفوُ تَشْهَدُ الأنْوَارا — يَلُوحُ لَهَا الحق العَلِىُّ جهَارا
هِىَ النَّفْسُ تَزْكُو تبْلغُ الآمَالا — هُوَ الْعَقلُ يَصْفوُ يُمْنَحُ الأسرَارا
هِىَ الرُّوحُ تُجْلَى للمُرَادِ إذاَ صَفَا — تُفِيضُ عَلَيْهِ خَيرَهَا مِدْرَارا
فَجرِّدْ مِنْ الرَّسْمْ الدنِىء جَمَالها — وَفِيهَا اتَّحدْ تَشْهَدْ ضِياً أقدارا
تَرِى العَالَمَ الأعْلَى شُهُودًا مُؤَيدا — تكُونُ كَنُورِ الشَّمْسِ لاَحَ نَهَارا
هِىَ الرُّوحُ شَمْسٌ أشْرَقَتْ فِى مَظَاهِرٍ — ألاَحَتْ لَنَا الوهَابَ والغفارا
إذاَ أشْرَقَتْ فى الرَّسْمِ أحْيَتْ مَعَالِماً — وَأخْفَتْ ظِلاَلَ الظُّلْمِ فَالآثَارا
هِىَ الرُّوحُ طهرهَا مِنَ اللبس وَالخَنَا — فَإنَّ قَوِيمَ الْعَقْلِ فِيهَا احتارا
تَجَرَّدْ مِنَ الأهْواَ مِنَ الْحظ والْجَفَا — وَأقْبِلْ عَلَى الله الْعَلِىّ جهَارا
هِىَ الرُّوحُ جَرِّدْهَا مِنَ السُّفْلِ سَارِعاً — إلَى الْحَقّ مُضطرا إلَيْهِ فِرَارا
تَمَسَّكْ بِآثَارِ الأئمةِ جَاهِدَن — تَرَ مُنْعِماً بَرا قَويا وَقَهَّارا

* إنما تزكوا النفس بحب عن شهود أو بوجد عن علم أو بضرورة داعية. ومتى زكت النفس أكسبت الجسم ميلاً إلى الوجهة التى بها تزكيتها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ الأعلى ١٤.

❋ من لم يتتبع مواضع الضعف من نفسه فيقويها، عاش فى شقاء.

❋ كمل نفسك بغيرك، ولا تكمل غيرك بنفسك، فإنما جُعل الغير لتكمل به حتى تصل إلى العين. ومن كمل غيره بنفسه كان كالسراج يضىء لغيره، ومن كمل نفسه بغيره كان كالشجرة الطيبة تتكمل بكل ما حولها، ومتى كملت نفعت غيرها.

❋ زك نفسك قبل السماع، لتشرق عليك أنوار المعرفة، فإن النفس كالبدن إن لم يكن قوياً؛ كلما غذيته ازداد مرضاً.

❋ بالحال تزكية النفوس لا بالفلوس والدروس، قال سبحانه: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ الشمس ٩.

❋ إذا زكت النفس بالتوجه والأُنس، رأت الغيب وظهرت الآيات جلية فى الكائنات، وأسبغت على المُشاهد المحبوب الهبات.

❋ إذا سطعت أنوار الروح على النَفْس الزكية، مُنِحت العيشة الرضية فى مقام القرب من الرب والأنس بشهود جماله جذباً لنيل وصاله.

الحياة

الحياة الروحانية تظهر بالحال والمقال، والحياة الجسمانية تظهر بالحظ والشهوة، فمتى قامت الحجة على أن الإنسان فى حياة روحانية فلا تؤاخذه بسيئاته، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ الأحقاف ١٦، وإذا ظهرت الحياة الجسمانية فى إنسان فلا تعبأ بحسناته، قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ الفرقان ٢٣.

والحياة القدسية تظهر بالإشارات فى أخفى الخفا من أنوار مجلى الذات، ومتى شهدت فى رجل تلك الحياة فصف له قلبك وأمسك عنه لسانك، وإن أنكرت أحواله وأعماله ـ بحسب مقامك ـ فإن الجاهل به بمقام عدوه، وإن لم تستطع أن تسلم له فاجتنبه، فإن من حُرم

الذوق والتسليم ربما وقع فى الاعتراض، فأصبح غير راضٍ عن الله، ومن حرم الرضا عن الله حرم النفع بما حصل.

والحياة الإبليسية تظهر فى الهمم والإرادات، فإذا ظهرت فى إنسان فاجتنبه ـ وإن أثرت همته وإرادته فى العالم ـ فإن الله تعالى قد يستدرج من يشاء بما يشاء، وقد ينطق بالحكمة ذو الحياة الإبليسية، لأنه يستمد من سافلين النأى، قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ الطلاق ٧، فلا تغتر له، متى صحت حياة الروح ذَكَرت الله قائماً وقاعداً ونائماً لأن الجسم لابُد له من النوم، والروح لا تنام إذا صحت حياتها الروحانية، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ آل عمران ١٩١ .

* من أحياه الله بالحى القيوم لا يموت وإن مات جسده.

* من مات بالإرادة أحياه الله بالفضل حياة طيبة.

الجواذب

الجواذب ثلاث: جذبة العرفان وجذبة المراقبة وجذبة العناية.

فجذبة العرفان مبدؤها صحبة العارف، ووسطها استغراق كلية القلب فى محبته، ونهايتها دخول السالك فى قلب العارف، فينظر الله إليه فيه، فتشرق عليه أنوار معانى الصفات فتحصل له المراقبة، فإذا راقب معانى الصفات أشرقت عليه أنوار بدئه قبل نشأته الأولى، فغاب عن وجوده بالوجود الحق، ولديها يزول البين فتقع العين على العين، وهى جذبة العيان، فإن جُمل بحلل الوراثة نطق بالحكمة ورجع إلى الخلق وسيلة للحق بدعوة عباده إليه، وإن اقطعته أنوار القدس غاب عن الشهود بعد إثبات الوجود الحق ومات فأحياه الله فكان مع الله والله معه، واقفاً على الأعراف يعرف كلاً بسيماهم، وهو المجذوب المقتطع والمطلوب المنتفع.

والوارثون قليل لأنهم فى مقام الاصطفاء، والمقتطعون كثير لأنهم فى مقام الاجتباء، وشتان بين من نفعه الله ونفع به، وبين من ضاق ماعونه عن الأنوار فعمت ظاهره فَدُكَّ طُوره، وصُعِق ولم يفق.

جواذب الأجسام النعم، وجواذب العقول الآيات، وجواذب النفوس الحكمة والتجليات، وجواذب الأرواح مواجهة الوجه فى نور مجلى الذات. فاجذب كل حقيقة بجواذبها ينفع الله بك.

الأنس

الأُنس بالله تعالى يقتضى عدم الوحشة، والأُنس بالله لا يكون إلا عن علم، والعالم بالله أخشى الناس لله، فإذا أَنِس أَنِس أُنْس أهل الأدب مع الله تعالى، ومتى كان الأُنس بالله محصناً بالخشية من الله والأدب مع الله دام ذلك الأنس، وإنما يخشى على الآنس بربه من الوقوع فى الجمعية الكبريائية الخاصة فيفنى عن وجوده العبدى بالوجود الربانى فيحصل له الأُنس، فيشطح أو يتيه فى بيداء التيه، أما الأُنس بالله تعالى فإنه لا وحشة له، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢.

والآنس بالله له فى الشدة أُنس فوق أُنسه فى الرخاء، لأنه آنس بالله الذى من صفاته المبلى، لأنه آمن بالكتاب كله، فهو سبحانه يلبسه عند الشدة أجمل حُلة يحبها، وهى حلة العبودة لذات الله تعالى تملقاً وتذللاً وتبتلاً وابتهالاً واضطراراً، فيقيه سبحانه ويواجهه مواجهة لم يسبق له نظيرها، لأن إعانة الله للآنسين به تقتضى شهود جماله العلى ظاهراً بمعانى الأسماء والصفات، للروح وللسر وللنفس وللعقل وللحس، ولا يكون ذلك إلا عند الشدة، وأما فى غيرها فيكون الأُنس خاصاً بالروح والعطايا للروح.

وقد أَنِس أبو بكر مع رسول الله ﷺ فى الغار حينما قال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة ٤٠، فكان ما تعلمه من إغاثة الله تعالى وظهور عنايته وولايته بأبى بكر الذى حصلت له

الوحشة رضى الله عنه، ولم تكن وحشة أبى بكر خوفاً على نفسه، ولكنها على روحه الحقيقية ﷺ، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ الأحزاب ٢٣، وإمامهم أبو بكر.

الروح تأنس على بساط المنادمة، فتبتهج النفس حيث لا لبس، فينطق اللسان بجلىِّ البيان: ﴿ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ الرحمن ١ حتى ٤.

لا يجلس على البساط إلا من عرف (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، إذا بسط العارف بساطه آذنك بالأُنس، والآنس إما معه أو عنده أو فيه أو به أو لديه، ولكل مقام أدب وليس ذلك بالدراسة، وإنما هى العناية من الله سبقت، والولاية منه إليك وصلت، وسوء الأدب عجزاً عن القيام به أدب، إلا فى مقام (معه) فإن الأدب أن تتحصن بحصون منهاجه بقدر ما تقوى قوتك، فإذا غلب عليك الوجد فقوِّ بشريتك بما شئت ـ ما لم يكن محظوراً ـ وهو مقام تزكية النفس للأُنس، كان بعض الرجال يضرب نفسه بالخيزران لينبه بشريته، وبعضهم يسلك مسالك التهم ليُتهم وبعضهم وبعضهم، إلا من سلك مع المرشد الكامل فهو كظله، أو ميت بين يديه.

أُنس العارف

العارف بالله فى أُنس بمولاه لا يحزنه شىء، وإنما يحزن من قول أهل الجهالة الذى لا يليق بالأدب مع الله تعالى، وقد يجمع الله له بين الأُنس والفرح وبين الأُنس والحزن، فهو فى أُنس دائم فى حالىِّ الفرح والحزن، لأن أُنسه بالإشراف على قدس العزة والجبروت، وفرحه بتجلى أسماء الجمال، وروحه تجاوزت الملكوت وأشرفت على قدس العزة، هذا إذا كان وارثاً.

وغير العارف أُنسه بما يفرح به العارف، وفرحه بما يلائمه، هذا إذا كان سالكاً على يد الوارث، أما غيره ففرحه بنيل حظه وحزنه بفقدانه، والله يختص برحمته من يشاء.

* أُنس العارف فى فصله ووحشته فى وصله، وأُنس غير العارف فى وصله ووحشته فى فصله.

الشوق

هو حرارة نار القرب التنزلى، الذى به يرى نفسه المشتاق وهو مع محبوبه أو عنده أو لديه، والعلو العظموتى الذى يجعل المشتاق عدماً لايليق به أن يقرب من هذا الجناب، فيكون بين قرب لا بين ولا رين، وبين بعد يستحيل فيه الاتحاد، فتحرقه حرارة نار فقد المجانسة، ويجذبه برد التنزل وإيناس التلطف، ولولا ذلك لهلك .

والمشتاق منزعج لا يقر له قرار ،فإذا قويت جواذب التنزلات شطح ـ إن لم يكن على يد المرشد ـ وإن استقرت نار الاحتراق صعق خشية الفراق ـ إن لم يكن على يد المرشد ـ فالمرشد برزخ ما بينهما، لأنه رق الحقائق المنشور وبحر الأسرار المسجور وكتاب التنزلات المسطور وطود التجليات الراسخ.

والشوق مقام رفيع من مقامات المحبة، وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيماً فى غير مشوقه، إنما يشتاق الإنسان إلى من عرف، ومن جهل شيئاً عاداه، وقد ورد فى الحديث القدسى: (من عرفنى عشقنى)، وشتان بين مشتاق إلى الجنة ومشتاق إلى الحضرة، فالمشتاق إلى الحضرة غاب عن الأكوان بمكون الأكوان، والمشتاق إلى الجنة حجبته الزخارف عن الملك الديان.

يقول الله تعالى: (أى عبدى، إنك بأعينى وإنى لأحبك، وإنى لقريب منك وإنك لقريب منى، وإنى ما سترت عنك إلا ليشتد شوقك إلى فيرضينى منك ذلك، وما سترت عنك ما سترته إلا رحمة بك وتقوية لشوقك إلى جنابى العلى)، ولو أن الله تعالى كاشف العبد المشتاق إليه بمقامه لديه لذاب مما يواجه به من تنزل ذى الجلال والإكرام، فسبحان من حجب ما أقام به عبده عنه عطفاً عليه ورحمة به. ولكنا نجهل، وإلا فمن الذى منحك الشوق حتى اشتقت، ومن الذى كاشفك بالجمال حتى عشقت، ومن الذى تجلى لك حتى أخرجك من حيطة الآثار إلى فسيح الأنوار؟!.

* لا شوق إلا بعد الوجد، ولا وجد إلا بعد الشوق، وجد عن علم يؤدى إلى شوق بعلم،

فإذا حصل الوجد بالعلم كان الوجد الحقيقى وبعده الشوق الحقيقى.

* فى أُفق الشروق ينعدم المشوق.

* العشق يُزْعِج، والشوق يُنْطِق، والمحبة تُصْمِت.

أبـوح إذا علاَ شوقى بوجدِى   ويبـدو لي الهيـام وفيه رشـدى
أمــوتُ بكم وأحيــا كلَّ وقتٍ   ومـوتـِي فـيكمُ عـزى ومجـدىِ
ولمـــا أن سكنتُم فى فـؤادى   جُـذِبْتُ إلى الـولى بغـيرِ جُهْـدِ
فـبحتُ بـسرِّكم رَغْماً وإنـــى   بشـدةِ حبكُم قـد صحَّ سعدِى
هو الشوقُ للمذْكُورِ يُخفْى المظاهرا   ويُشْهِـدُ مَـذْكُـوراً عَلـيّاً وقَـادرا
ويُظهِـر أنــوارَ الحقـائِقِ جَهْـرَةً   لـديهـا يَلَـذُّ الجَمْعُ راحـا مُطَهـرا
هُوَ الشوقُ أفنانيِ وأخفَى مَعالمى   فصرتُ به غَـيباً وكـونـى مَظْهـرا

* إن لله ساعات يُشَوق فيها عبيده إليه، فينسيهم كل شىء.

* الشوق إلى الغيب دليل على أن فى المشتاق ساطعة أنوار منه، وكيف لا والزيت فى المصباح مُضىء، والمصباح إلى العَالَم الأعلى مُشير، ولو لم تقم الحجة العقلية ولا الدلائل النقلية، لا أُقيم الحجة برسُل الله الكرام ولكنى أُقيمُها بأهل الكهف. والذوق فوق العلم والكشف فوق الذوق والفناء عن الموجودات فوق الكشف.

* شَوَقَك إلى الآيات، لتلحظ أنوار معانى الصفات. وأشرق فيك وبك معانى الصفات، لتفر إلى غيب التجليات. وأراك من التجليات البينات، ما به تلحظ سواطع أنوار غيب مجلى الذات بالفناء عنك وعن الكائنات، لديها فوجودك به حق، وإذا ثبت وجودك الحق كنت للحق وكان الحق لك، فوَجِه وجهك إليه، واجعل صلاتك ونسكك ومحياك ومماتك لله رب العالمين لا شريك له، فالأمر والجذب منه، والتسليم والانقياد منك به.

* لا ينفك شوق المحبوب إليه حتى تنكشف جلية الحقيقة، ولا انكشاف لها، لأن قدرته لم تتعلق بإيجاد من يجانسه فيدركه، ولا صبر لمن ألقى عليهم محبة من عنده، ولا مُحيل لهم عنه، فهو العليِّ العظيم عن أن يُدْرك، وهو القريب المجيب فلا يغيب عن طالبه.

* إنما يتجاوز المحبوب مقام الشوق إلى الإلهانية ومنها إلى المهيمنية ، فإذا قوى الاصطلام فى مقام الاعتصام رد إلى الصورة شهوداً بعين البصيرة، فاطمأن القلب بها، لا تسلياً عن الهوية، ولكن عجزاً عن تحمل الصبر على الإلهانية، وخشوعاً تحت هذا السلطان العليِّ والمكانة الصمدانية.

فَـدُمْ فى مـزيدِ واصـطلامٍ غَـرامِـيا	فنَارُ اصْطِلامـى فى الحبـيبِ مُـدَاميا
نعم يطمئنُّ القلبُ بـالصـورةِ التـى	تُـرينِـى جَمـالَ الغـيبِ لاحَ أمـامـيا
ولكن إلهـانـيتِـى فى اصْطِنـاَعهِ	إلـيه تُجـاذبُنِـى وتُخفـى مقـامِـيا
فلا (وأبـيكَ) المـثَـنـوية تُفْـنِـنِـى	ولا الفَضْلُ يُخفِـى الـوجْـدَ خَلّ ملاَمِـيا
من البـدءِ من قبلِ التجلى صَبَـابتِـى	وكُـنـتُ أرى لم يَسْـتُرنِّـي حمـاَمِـيا
فَكيفَ وسورِى من حضيض ومن صوى	أُقـرُّ لغـيرِ الـوجه فـاسمع كلامـيا
فلا وجمـالِ الـوجهِ فى الحظـوةِ التـى	تُلـيحُ (تَـدَلَّى) غـيبهـا فى سلامـيا
وتُـسْكِـرُ (إذ يغشـى) بِـراحِ طَهُـورهِ	بـآية (مـا أوحـى) تَنَـاولْ مُـدَامِـيا

المحبة

* القلب بيت الرب، فطهره له بالحب.

* إنما يحب ما فيك منه، وإنما يقربك بما يورده عليك منه، فاحذر أن ترى تقربك تقريباً، وافن عنه بمشاهد التوحيد تكُنْ من أهل التفريد، ويحبك إذا أديت الأمانة لأهلها، وعرفت لنفسك قدرها، ومتى أحبك فكن كيف شئت، فإن من أحبهم عصمهم أو حفظهم، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ التكوير ٢٩، وما تقول فى قوم الحق معالم بين أعينهم وعندهم ومعهم، وهم معه وعنده، لا يغفلون وإن غفل الناس ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢.

* إنما يشهد ضياء المحب عين تحب.

* كذب من ادعى محبة من لم يعرف فإنه قد يسىء الأدب لجهله بمكانة المحبوب، وللمحبة دلائل يدعو إليها العلم بالمحبوب، ومن أول دلائلها التسليم له والصبر معه والرضا عنه. وسعد والله من كاشفه الله بأنوار التوحيد فى مقامات التنزيه والتفريد، حتى فنى عن وجوده بنفسه، فكان عدماً فى نظره به؛ موجوداً فى نظره بربه، هذا سيئاته حسنات ومعاصيه طاعات وجهالته علم وبعده قرب وفصله وصل، قال الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ البقرة ٢٥٧.

* لا يغيب من شهد الحبيب، فإنه إن حجب عن بصره لا يحجب عن بصيرته.

* المحب يرى حبيبه قريباً بأُنسه بعيداً بشوقه.

* المحبة ترفع أهل أدنى المراتب إلى أهل أعلى المراتب.

* أهل المحبة يخافون من البُعد وهم فى أقرب القرب، وأهل الجفا يأمنون وهم فى أبعد البعد.

* إذا أردت أن يحبك فانظر إلى ما منه إليك، ولا تنظر إلى ما منك إليه، فإن نظرت إلى ما منه إليك كنت عبداً حقاً، وإن نظرت إلى ما منك إليه كنت مُشركاً.

* من ذاق جرعة من صافى طهور محبة الله؛ أغناه الله عمن سواه.

* ليس هناك محبوب كله خير إلا الله، ومن والاه وما والاه.

* من ذاق حلاوة خالص محبة الله لم يلتفت إلى شىء سواه:

السهروردى: لدغَت حيةُ الهوى كبدى فلا طبيبَ لها ولا رَاقِي

* إذا أجلسك على بساط المحبة فانس كل ما عداها.

* أحب خلقه إليه، من اعترف بذنبه بين يديه.

* من عرج على معارج المحبة ارتفع لأعلى مقام، ومن عرج على معارج المجاهدة ارتفع لحضرة الإنعام، وشتان بين من هو مع الإنعام وبين من هو مع المُنعم.

* المحبة قسمان: محبة واصلة منه إليك، وهى اختصاصك بما هو من صفاتك. والمحبة الواجبة عليك، وهى أن تجعل أمره مقدماً على حظك، ومُراده مقدماً على مرادك، وطاعته مقدمة على هواك.

هُو الحبُّ نُورٌ يَكْشِفُ الحُجُبَ عن قلبِي فَأهتزُ حَالَ الذكرِ شوقًا إلى ربى
أهِيمُ بذكرِ الله والوجه مشرقٌ فَأشْهدُ نوُرَ الوجهِ من غيرُمَا حَجْبِ
فأفنىَ عن الآثارِ شُوقاً إلى اللقَا فَيمنَحنى ربى الطَّهُورَ من الشُربِ
سَقانَا رسولُ الله خَمرةَ حُبْه فأسْكَرنَا طه فَهِمْنَا إلى الربِ
فَبُشرى لأهل الحبَّ نالوا مُرادَهُمْ إمَامُهُم المختارُ كَشْفاُ بلا حُجُبِ

* ما يُحجب به غير المحب ينمو به غرام المحب، فإن ما لا يلائم النفس يقبضها عن الأُنس، أما أهل المحبة فإن أُنسهم بالله عند ما لا يُلائم نفوسهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ آل عمران ١٧٣، وما ازدادوا إيماناً إلا لشوقهم إلى لقاء الله وإعلاء كلمة الله، وقد يجمع الله لهم الشوق إلى لقائه وإعلاء كلمته.

* المحبة حجاب ـ وهى أرقى المقامات ـ لأنها تشغل عن المحبوب، وهل يسع القلب محبوباً وحباً؟!.

* نار المحبة لا تبقى فى القلب لغير المحبوب حبة.

* لا تلم على من قال: «الله محبة»، فإن المحبة جعلت أهل الجاهلية العمياء تخدمهم الملائكة المقربون ويحبهم رب العزة والجلال، ضحوا فى سبيل المحبة بكل شىء، من دين كانوا عليه، من وطن كانوا يجلونه، من مال كانوا يحرصون عليه، من عرض كانوا يتفانون فى المحافظة عليه. ثم صغر كل ذلك لديهم فى سبيل المحبة، حتى بذلوا أنفس نفيس وهو النَفْس على ظِبْة السيف، ولولا المحبة لما أشرقت تلك الأنوار، ولا تجملوا بتلك الأحوال والمحبة منه أولا، وبه لهم ثانياً ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ المائدة ٥٤.

* ما لى وللمحبة؟! أشير إلى مقاماتها وهى فوق الأرواح قدراً، لم يكشف سرها من الله لعبده ولا من العبد لله، ولذلك أنكرها أهل العقول لأنهم حرموا الوصول، وأهلها هم الذين صاغ الله نفوسهم من نور قدسه، فأشرقت هياكلهم على القدس الأعلى، فاطْوِ أخى بساط أهل المحبة، فإن مقاماتهم عزت عن أن يشار إليها، وأحوالهم رفعت عن أن يعبر عنها. وما تقول يا أخى فى رجل إذا سأل حبيبه لباه، وإذا سكت افتتحه وناجاه، وإذا شغله شأن من شؤون الدنيا والآخرة أسرع إليه وأرضاه، هؤلاء هم أهل المحبة، ما ذكر أحد منهم شيئاً له إلا سهله، وما اشتغل الإنسان منهم إلا بحبه، فأسرع أن تذكر له ما يهمك فى دنياك وآخرتك لا لتيسيره، بل لتفرغ قلبك له، وبعد ذلك سل تعط وارج تنل.

* محبة الله للعبد إيثار من الله تعالى لعباده المخلصين، به يرفعهم إلى مقام المقربين ومعية رب العالمين، وعندية الملك المقتدر فى مقعد صدق.

* ومحبة العبد لله تعالى إيثار العبد ربه على كل شىء، حتى يتأله له دون كل شىء، ويشتغل بذكره عمن سواه، ويحترق حباً فيه، حتى يكشف له الحجب فيراه.

* الحب إن كان بالعلم جذب إلى المحبوب، وإن كان بالشهود أصمت المحب، لأنه قد

يعجز عن تصوير محبوبه بعبارة أو إشارة، ويجله عن أن تبين محبته غيرة للمحبوب، فإذا تجاوز الكشف صار المُحب محبوباً، فأشار إلى المحبة بقدر نفسه.

* القيمة بقدر المقصد، هذا إذا قوم المقصد، ومن طلب المقصد الذى لا يقوم ابتدأ ببذل روحه مستقلاً لها لا لينال المقصد، بل سروراً بعلمه أن هناك مقصداً لا يقوم. وهذا يكون لأهل المحبة خاصة، لأن الحب لا يكون إلا بعد المعرفة، ومتى عرف المحبوب عشق، وبقدره يكون البذل، فإن كان لا يعلم قدره غيره كسرت الموازين، وحصل الدهش للعقول والحيرة للنفوس، وانكسر القلب قصوراً، وخشع الجسم تقصيراً، وإنما تكون المبادلة فى النظائر والنظراء، لا فيما لا نظير له، فكيف إذا تحقق من قصده الله أن النفس والجسم والعقل والحس صنعته التى أبدعها، وأنه هو القاهر فوقها، لديها تقوى الرهبة، وتتحقق من الفرق الغيبة، وتجذبه حقيقة الذل إليها من أن يشاكل أو يجانس أو يؤانس، وهو نهاية الشوق، ومبدؤه فوق الطوق، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يوسف ٢١.

تم بحمده تعالى

الفهرس

ما سر إظهار الله للمجددين فى كل زمان؟ ٥

ما هى مأخذ المجددين للسُنة؟ ٧

ما هو أساس طريق آل العزائم؟ ٩

ما هى مجاهدات آل العزائم؟ ١٠

مجاهدة النفس ١١

أنواع المجاهدة ١٢

ما احتياج المسلم إلى الطريق؟ ١٣

ما يناله السالك بانتسابه للطريق؟ ١٦

من هو المرشد؟ ١٨

من هو السالك؟ ٢٠

السالك المصاحب للمرشد ٢٢

تذكرة ٢٣

الله جل جلاله ٢٤

محمد رسول الله ٢٤

رمز آدم ٣٣

آدم وحواء وإبليس ٣٦

مضنون فى آدم ٣٨

الملك الكبير المعبر عنه بالجنة ٣٩

ألق أذن روحك ٤٠

جنة آدم ٤١

القرآن ٤٢

قبس من المضنون فى القرآن ٤٣

الأبدال والصديقون ٤٣

الأمانة ٤٤

العلم ٤٦

العَـالِم ٤٧
الإيـمان ٤٧
التوحـيد ٤٩
النفـس ٥٠
عقل وحس ونفس ٥١
تـزكـية الـنفـوس ٥٢
الحـياة ٥٤
الجـواذب ٥٥
الأُنـس ٥٦
أُنس العـارف ٥٧
الـشـوق ٥٨
المحبـة ٦٤
الفهـرس ٦٦

almashahed
www.almashahed.com